جون أموس كومنيوس (١٥٩٢-١٦٧٠)

حياته:

ولد "جون أموس كومنيوس" في ٢٨مارس١٥٩٢م في قرية نفيتز (Nivitez) بولاية مورافيا (Moraivia).

كان والده ميسور الحال يعمل طحانا، توفي وعمر "كومنيوس" عشر سنوات، وبعد عامين توفيت والدته وأختاه، فأصبح "كومنيوس" وحيدا فقيرا وهو في سن مبكرة[٣١] إلا أنه نشأ في جو ديني ملتزم، حيث كان والده ينتمي إلى طائفة دينية عُرف قساوستها بالبساطة والرغبة في تطبيق الحياة التقية، التي تتماشى مع الكتاب المقدس الذي كان يستشهد به "كومنيوس" كثيرا في كتاباته.[٣٢]

التحق "كومنيوس" بالمدرسة الابتدائية في (ستراسنيك)، ولما بلغ السادسة عشرة من عمره التحق بالمدرسة اللاتينية في (بريرو)، ثم التحق بجامعة (هربورن)، ثم جامعة (هايدليرج) ودرس الفلك، بالإضافة إلى بعض العلوم الأخرى.

وقد أوضح في كتاباته الحالة الهابطة التي كان يعاني منها التعليم آنذاك، وكثيرا ما كان يشعر بالألم عند استرجاع وقائع طفولته الضائعة نتيجة لحالة التعليم تلك، فقد كان يقوم بحفظ آلاف القواعد اللغوية بلا فهم، ويستذكر دروس النحو والترجمة بدون استخدام القاموس أو شرح المعلم، وقد أوجدت فيه هذه الأخطاء بذرة الشفقة على التلاميذ الصغار.[٣٣]

توفي "كومنيوس" في منتصف نوفمبر عام (١٦٧٠)[٣٣] تاركا مؤلفات عديدة حوت أفكاره وآراءه التربوية، التي من أهمها:[٣٤]

- **باب اللغات المفتوح:** يعتبر مقدمة لدراسة اللغة اللاتينية، وقد لاقى نجاحا عظيما في أوروبا، وترجم إلى اثنتي عشرة لغة أوروبية، كما تُرجم إلى اللغة العربية، والتركية، والفارسية، والمنغولية.

- **الدهليز:** هو كتاب على غرار كتاب (باب اللغات المفتوح) الذي وجه كومنيوس صعبا بالنسبة للصغار، فألف لهم كتاب "الدهليز"، وقد تم ترجمته الى لغات أجنبية أيضا.
- **عالم الصور:** وهو من أعظم كتب تعليم الأطفال، لأنه تدرج من المحسوسات الخاصة إلى المعقولات العامة، بطريقة استقرائية تؤدي إلى المعرفة العامة، أي الانتقال من الأفكار البسيطة الأولية إلى الحقائق الصعبة المعقدة، وذلك لأن مؤلفه يؤمن بأن كل ما يوجد في العقل يوجد أولا في الحواس، وعلى الرغم من القيمة المادية العظيمة لهذا الكتاب إلا أنه لا توجد منه إلا نسخة واحدة باللغة الإنجليزية في المتحف البريطاني.
- **المرشد العظيم:** من أهم مؤلفات كومنيوس وقد ضمنه كل أفكاره التربوية.
- **مدرسة الأم:** وهو كتاب يرمي إلى تنبيه الأمهات إلى الطرق الواجب اتباعها في تربية الأطفال.

أفكار كومنيوس التربوية:

يعتبر كومنيوس أول شخصية أوروبية تولي الطفولة أهمية كبيرة باعتبارها المرحلة التي تُرسي قواعد الشخصية، وكان من رجال الدين المغالين فيه، كان يرى أن غاية الإنسان الأولى أن يسعد سعادة أبدية بجوار ربه، وما الحياة الدنيا إلا تمهيد وإعداد للحياة الخالدة، وأن هذا الإعداد الذي يراه "كومنيوس" يجب أن يكون على ثلاثة وجوه:[٣٥]

الوجه الأول: أن يعرف الإنسان كل شيء في هذا الوجود معرفة صحيحة.

الوجه الثاني: أن يكون الإنسان سيد نفسه، مسيطرا عليها وعلى كل شيء في الكون.

الوجه الثالث: أن يسند كل شيء في الوجود إلى قدرة الله جل شأنه.

كما يرى أن النفس البشرية لن تصل إلى غايتها إلا بثلاث صفات، هي: (العلم، والفضيلة، ومحبة الله)، وأن بذور هذه الصفات مغروسة فيه منذ تكوينه، أي مفطور عليها.[٣٦]

ومن أبرز أفكار "كومنيوس" التي جاءت في كتابه (المرشد العظيم) إتاحة الفرصة لتعليم الأطفال، أيا كان وضعهم الاقتصادي والاجتماعي، (ذكورا وإناثا)، وقد استند في فكرته هذه إلى الأسباب التالية:[٣٧]

أولا: إن الله خلق الناس سواسية ولغرض واحد، وهو أن يصبحوا رجالا ونساء ذوي عقول مفكرة تمكنهم من السيطرة على الكون، وعلى ذلك لا بد من إعدادهم وتجهيزهم بالمعرفة والفضيلة والتقوى، التي تمكنهم من الاستعداد لحياة الخلود.

ثانيا: أن التعليم يغذي عقول البشر جميعا سواء كانوا أذكياء أم أغبياء، لذلك يجب أن ينال منه كل الأفراد على السواء.

ثالثا: إن للمرأة حق - مثلما للرجل - في التعليم والأخذ بقدر من المعرفة التي تؤدي إلى إكسابها الفضيلة والورع، كما تؤدي إلى قيامها بوظيفتها كزوجة وأم، ومدبرة لشؤون أسرتها.

رابعا: إن تعليم كل الفئات واجب وضرورة يحتمها الدين، فلا بد من تعليم العمال، والحرفيين، والفلاحين، والنساء، ليحيطوا بالمعرفة، حتى يتمكنوا من القدرة على التفكير وحتى يصبحوا قريبين من الخالق جل شأنه.[٣٨]

وقد سيطرت على "كومنيوس" فكرتان عند حديثة عن تربية الطفل:[٣٩]

الفكرة الأولى: فكرة تقليد الطبيعة في التربية.

الفكرة الثانية: فكرة وجوب إحاطة المتعلمين بالمعرفة الشاملة.

وفي هاتين الفكرتين تتجسد فلسفة "كومنيوس" الواقعية الحسية في استغلال حاسة البصر، من خلال الصورة والكلمة لجعل تعليم الطفل أيسر

وأكثر ميولا من جانب من يقوم بتعليمه،[٤٠] بالإضافة إلى استخدام الحواس الأخرى في تعليم الطفل.

وقد نظر "كومنيوس" إلى الطبيعة على أنها خير معلم للطفل، وهي النموذج الذي يجب أن يُحتذى في تربية الطفل، ذلك لأن الطبيعة تُراعي الأوقات المناسبة فالمزارع يختار الوقت المناسب لنظافة أرضه، وغرس زرعه، وتسميد الأرض وجني المحصول.[٤١] ومعنى هذا أن "كومنيوس" يريد أن يقول:

- يجب أن نبدأ تربية الطفل في ربيع حياته.
- يجب اختيار أنسب الأوقات لتعليم الطفل (ساعات الصباح).
- يجب ترتيب العلوم التي يدرسها الأطفال بحيث تتناسب مع أعمارهم، فلا نقدم لهم ما يفوق مستوى فهمهم.[٤٢]

ويمكن تحديد المبادئ التربوية التي وضعها "كومنيوس" بما يلي:[٤٣]

(١) أكد "كومنيوس" أهمية تعليم الأم للطفل من خلال (مدرسة الأم)، واعتبر الأم خير مرب لطفلها من الميلاد حتى السادسة من عمره، وهي مرحلة ما قبل المدرسة.

(٢) اقترح نظاما تعليميا شاملا وقسمه إلى ثلاث مراحل تعليمية بعد مرحلة ما قبل المدرسة، هي: المرحلة الابتدائية، المرحلة الثانوية، المرحلة الجامعية، وتستمر كل مرحلة ست سنوات.

(٣) اهتم بطرق التدريس حيث كان يرى أن لكل مجموعة متشابهة من العلوم طريقة واحدة لتدريسها، مع ضرورة استخدام الحواس في تعليمها.

(٤) نادى بضرورة استثارة المتعلم في عملية التعليم، فمشاركته فيها تأتي بالفائدة المرجوة، ولا يمكن أن يفيد إذا فرض عليه التعليم.

(٥) أكد على تحفيز الطفل النابه بالهدايا والجوائز، لما للتحفيز من أهمية في العملية التعليمية.

(٦) نادى بالاهتمام بمراعاة الفروق الفردية بين الأطفال، فهم مختلفون في قدراتهم على التعليم، وأكد ضرورة أن يسبق فهم المادة العلمية الحفظ والاسترجاع، لأن الحفظ القائم على الفهم يكون أكثر رسوخا في أذهان المتعلمين.

(٧) أكد ضرورة ربط المواد التعليمية بعضها ببعض، وألا تُدرَّس منفصلة تماما، خاصة المواد ذات الصلة الطبيعية، مثل القراءة والكتابة.

(٨) اهتم بتدريس التربية الدينية والخلقية في مرحلة الطفولة المبكرة، قبل أن يتعود الطفل على عادات يصعب بعد ذلك تعديلها.

(٩) نادى بضرورة توخي الرحمة عند عقاب التلاميذ، فالعقاب الشديد يؤدي إلى نفور المتعلم وكراهية التعليم.

هذا وقد وضع "كومنيوس" أصولا لطريقة التدريس التي اشتهرت بها طرق التربية الحديثة، وقد حددها "كومنيوس" بما يلي:

أ) تعليم الطفل كل ما لابد أن يعرفه، ويجب أن يكون التعليم بعرض الشيء أو الفكرة مباشرة، لا بعرض نموذج أو رمز.

ب) يجب تعليم الطفل الأشياء ذات القيمة العملية في حياته.

ج) يجب الإشارة إلى طبيعة الأشياء التي تدرس وأصلها أي أسباب وجودها.

د) يجب شرح المبادئ الأولية للموضوع ثم ذكر تفاصيله بعد ذلك.

هـ) يجب تأكيد الفروق الفردية بين الأشياء.

و) يجب تعليم موضوع واحد لكل مرة وإفهامه لها تماما

وقد وضع "كومنيوس" في كتابه "مدرسة الأم" العلوم التي يجب أن يبدأ بها إلمام الطفل، نذكر منها:

- الميتافيزيقا: Metaphysic (علم ما وراء الطبيعة)
- الفيزياء: physics
- مبادئ علم البصريات: Optics
- مبادئ علم الفلك: Astronomy
- مبادئ علم الجغرافيا: Geography

- علم الحساب: Arithmetic
- مبادئ الهندسة: Geometry
- تعلم قواعد اللغة: Grammar
- تعلم الحوار: Dialectic
- مبادئ الأخلاق: Ethics

وتتم التربية الخلقية عند "كومنيوس" باتباع ما يلي:

- تعليم الطفل شيئا من ضبط النفس.
- تعليمه نظافة ملابسه أثناء تناول الطعام واللعب.
- تعليمه احترام الآخرين خاصة الكبار.
- تعويده على الصدق وعدم السماح له بالكذب مطلقا، سواء في الجد أو الدعابة.
- شغل وقت الطفل باستمرار، إما باللعب أو بالعمل، حتى لا يألف الكسل.
- تعويده على العطاء الفياض ومد يد العون للآخرين والتعاون معهم.
- تربيته على الصبر حتى يتغلب على مشاكله، وتقوى نفسه ويستطيع قهر نزواته.
- تدريبه على السلوك الجيد وآدابه، مثل التسليم باليد، واتّباع الأسلوب الأمثل في طلب الشيء من الآخرين.

إن "كومنيوس" وضع الكثير من الآراء التربوية التي تأثر بها المربون الذين جاءوا من بعده، والتي تحدثت عن تدريب الحواس والطبيعة، مع الاحتفاظ بالهدف الديني. كما أن آراءه هذه - وإن كانت سابقة لعلم النفس الحديث - إلا أن نظرياته عن النمو الجسمي والحسي والحركي والعقلي والاجتماعي واللغوي، اتفقت مع مبادئ علم النفس بصورة كبيرة.(٤٧)

وهكذا يتضح أن كومنيوس هو الرائد الأول لعلم التربية، وهو أول من وضع نظام مراحل التعليم، وقد استطاع قبل ثلاثة قرون تحديد بعض القوانين الأساسية لفن التعليم.(٤٨)

جان جاك روسو
J.J. Rousseau
(١٧٧٨.١٧١٢)

حياته:

ولد "روسو" عام ١٧١٢ بجنيف، من أسرة فرنسية الأصل بروتستانتية المذهب، كان أبوه يعمل صانع ساعات بالنهار ومعلم رقص بالليل، فورث عنه "روسو" خفة الروح، وجموح الخيال والميل إلى الكسل، وكانت أمه شغوفة بالموسيقى والأدب، فورث عنها رقة العاطفة، وشدة الحساسية مع الحياء الشديد. وقد كان "روسو" محبا للقراءة التي تعلمها على يد أبيه، فقرأ كثيرا من الروايات والقصص الخيالية التي ساعدت على تقوية خياله،[١٦] ثم عهد والده لأحد الحفارين بتعليمه صنعته، وكان هذا الحفار فظا غليظا، فترك "روسو" المدينة هربا منه وهو في السادسة عشرة،[١٧] وبدأ يخرج إلى الحقول والغابات التي كان يلهمه جمالها بدلا عن العودة إلى المدينة، ثم ذهب إلى باريس،[١٨] وهام بعد ذلك على وجهه يحترف شتى الحرف في سويسرا وإيطاليا.[١٩]

وقد حدث تغيير جذري في حياة "روسو" وهو في التاسعة عشرة من عمره، نتيجة لتعلقه بمدام "دي وارنز" (Madame De Warens) التي آوته ولم تبخل عليه بعطفها ورعايتها واهتمامها، فأدخلته المدرسة وشجعته على الانتقال من مذهبه البروتستانتي إلى مذهبها الكاثوليكي.[٢٠] وقد استطاع "روسو" تقويم سلوكه بمساعدتها، واطلع على أعمال عدد من الأدباء واتصل بالفلاسفة والمفكرين،[٢١] وتعرف على زعماء "حركة التنوير". وفي سنة ١٧٥٠ شارك بمقال في المناقشة التي نظمها المجمع العلمي في مدينة (ديجون) حول موضوع (أثر العلوم والفنون في حياة الإنسان)، فأحرز مقاله جائزة المجمع، واكتسب شهرة عظيمة، وقد كان نجاحه هذا نقطة تحول في حياته الفكرية.[٢٢] ثم شارك في مسابقة أخرى بمقال (في أصل التفاوت بين الناس) ضمنه سؤالا جوهريا هو: ما الطبيعي وما الزائف

حقا في الطبيعة البشرية؟ وكانت إجابته لهذا السؤال تصب في المعنى التالي: يكون الناس خيرين "بصورة طبيعية" والشخص الأناني الماكر الذي تتحدث عنه النظريات لا وجود له في الطبيعة، بل يوجد فقط في مجتمع منحرف.(٢٣) فآراؤه مبنية على فكرته هذه بأن الإنسان طبيعي بفطرته، ولكن أفسده الاجتماع الذي طغى على هذه الفطرة بابتعاده عن الحال الطبيعية.(٢٤)

ولقد افترض "روسو" طفلا وهميا سماه "إميل"، وافترض نفسه المربي الذي تتوافر فيه المزايا التي تؤهله أن يكون مربيا لإميل منذ ولادته،(٢٥) وكان "روسو" بمثابة المصلح الاجتماعي الذي يبحث في إصلاح حال إنسان عصره عن طريق إقامة نظام تربوي جديد، وكان لذلك تأثير فكري خطير أدى إلى نمو الحركة الفلسفية التي عُرفت (بالحركة الطبيعية)،(٢٦) ومن أهم العوامل التي أثرت في حياة "روسو" الفكرية:(٢٧)

١) ما ورثه عن والديه من سمات وخصائص.

٢) حياة البؤس والتشرد التي عاشها في طفولته ومراهقته، وجزءا من شبابه، وما ترتب عليها من اتصال وثيق بالطبيعة وبالطبقة الفقيرة.

٣) قراءة كتب التراجم والتاريخ والشعر والفلسفة والرياضيات والفلك.

٤) حركة التنوير التي اتصل بفلاسفتها وعاش معهم فترة قصيرة في باريس، وإن اختلف معهم في عبادة العقل وتقديسه.(٢٨)

وقد قسم "روسو" تربية الطفل إلى أربع مراحل، إضافة لمرحلة خامسة خصصها لتربية الفتاة،(٢٩) ويمكن توضيح هذه المراحل التي ضمنها أجزاء كتابه (إميل) فيما يلي:(٣٠)

المرحلة الأولى: من الميلاد وحتى نهاية الخامسة: يرى "روسو" أن يُترك الطفل في هذه المرحلة في البيئة المحيطة، يتعلم تعلما تلقائيا دون تدخل الآخرين.

المرحلة الثانية: من نهاية الخامسة وحتى الثانية عشرة: يؤكد "روسو" أهمية توجيه الطفل للطبيعة، ووضعه في بداية الطريق المؤدية إلى الاكتشافات الضرورية في

قلب الطبيعة، وتهيئة المشاهد التي تحل محل الدروس، وهنا يكون دور المربي سلبيا، لهذا سميت (بالتربية السلبية)، بالإضافة إلى التربية الخُلقية التي أساسها الطاعة المطلقة، ولا يجوز للمربي أن يدع أمرا للطفل يكون موضوع مناقشة، فيتعود على الجدل السفسطائي غير المفيد.[٣١]

المرحلة الثالثة: من الثانية عشرة وحتى الخامسة عشرة: وهي مرحلة البلوغ، وعند "روسو" هي مرحلة العمل والتعلم العقلي، غير أنه لا يزال يركز على دور البيئة وأهميتها، ويتطور دور المربي فيها إلى التوجيه السليم.

المرحلة الرابعة: من الخامسة عشرة وحتى العشرين: وهنا يؤكد "روسو" أهمية التربية البدنية والخُلقية والعاطفية والدينية، على أن تعلم التربية الدينية والخُلقية عن طريق القدوة، بعيدا عن النصح والإرشاد والتوجيه، بمعنى أنها يجب أن تتم بطريقة غير مباشرة، ويكون الدين خاليا من الطقوس والشعائر.[٣٢]

المرحلة الخامسة: خصص "روسو" هذه المرحلة في كتابه لتربية الفتاة، وهو - وإن كان يُنكر عليها التعليم لذاته - إلا أنه يؤكد ضرورة أن تتعلم كيف تُرضي زوجها وتعتني بأطفالها.[٣٣]

ملامح الفكر التربوي عند "روسو":

يعتبر كتاب "إميل" أفضل الكتب التربوية التي كتبت حينذاك، ولقد كان الدافع على كتابته سؤالا من سيدة طلبت من "روسو" أن يرشدها إلى الطريق الأمثل في تربية أبنائها،[٣٤] فجاء الكتاب متضمنا أسسا مستقبلية لتربية الطفل، وحوى أهم آراء "روسو" في التربية، التي نوجزها فيما يلي:

١ - إن الأصل في الإنسان هو حريته وليس جماعيته، فقدرات الإنسان - من وجهة نظره - لا تنمو نموا طبيعيا إلا في جو من الحرية، وعن طريق التعامل المباشر مع الطبيعة، فهي خير معلم، وأن تدخل المجتمع لا ينتج عنه سوى وأد هذه القدرات وإحباطها وإفسادها، ولهذا رأي "روسو" أن يُعزل الطفل عن المجتمع حتى ينمو نموا صحيحا.[٣٥] وقد كوَّن هذا الرأي من تجربته الشخصية، حيث عاش فترة

من عمره وحيدا في الغابة لا يعرف أهله ولعله لم يعرف أولاده، ولم تكن هناك قيود مفروضة عليه سوى ما تفرضه الطبيعة، وهو لا يعرف أن هناك رذيلة أو فضيلة، إنما كان سلوكا تلقائيا بسيطا، كانت فيه سعادته، ولكن عندما بدأ الاجتماع الإنساني ظهرت متاعب الإنسان.(٣٦)

- نادى بتغيير المجتمع وإقامة مجتمع عادل يسمح بتكافؤ الفرص، ويتيح للأفراد إمكانية النمو الحر عن طريق التعاقد فيما بينهم بأن يعدل كل إنسان عن أنانيته، ويصبح هذا العقد هو القانون الذي يحكمهم.

- نادى بضرورة مراعاة التربية لمراحل النمو الطبيعي للطفل، حيث تتطور أهدافها وغاياتها، ويتغير محتواها ومضامينها وتتعدل أساليبها وطرائقها وفقا لخصائص النمو.(٣٧)

- إن الغاية من التربية كذلك تهذيب قوى الطفل العقلية، وجعله قادرا على تثقيف نفسه بنفسه لا حشو ذهنه بالمعلومات، فالتربية - في نظر "روسو" - تدرُّج طبيعي يهدف إلى الكشف عن قوى الطفل الطبيعية الكامنة وتنميتها، لا إلى اكتساب المعرفة، فهو يقول (ليس هدفي إطلاقا أن أمنحه العلم، بل أعلمه كيف يكتسبه عند الحاجة، فالعقل الحسن التكوين أحسن من العقل المشحون).(٣٨)

- يرى روسو أن الخبرة المباشرة أفضل صور الخبرة وأكثرها تأثيرا على المتعلم من الخبرة التي يكتسبها الطفل من المعلم أو من الكتاب، فالخبرة المباشرة تتولد نتيجة النشاط الذاتي للطفل الذي يأتي استجابة للدوافع الداخلية له، ولميوله واهتماماته ورغبته في إشباع حاجاته، واستكشاف الطبيعة. من ناحية أخرى فإن الخبرة المباشرة لا تتعامل مع جانب واحد من جوانب الشخصية، بل من مختلف جوانبها، فهي تنمي الجسم، وتستدعي قوى التفكير، وتثير الحماس، وتربي الانفعال،(٣٩)

- يرى "روسو" ضرورة تقليل الأوامر والنواهي التي يصدرها الكبار، حيث إن كثرتها تميت شعور الطفل، ولا تدفعه إلى التفكير، فيصبح آلة في يد غيره،

كما أنه يرفض مبدأ العقاب الصارم، ويستبدله بفكرة الجزاء الطبيعي، بحيث يتحمل الطفل نتيجة خطئه.(٤٠)

ضرورة ترك الطفل للطبيعة

فهي التي تعلمه منذ نشأته كيف يتحمل الصعاب ويتحدى الفقر والشقاء، وأن يحيا في المناطق الصعبة إذا اضطر لذلك، لذا يجب عدم المغالاة في العناية بالطفل لأن ذلك من شأنه أن يشقيه مستقبلا، فيقول: (إن الأم التي تجعل طفلها معبودا لها والتي تحاول أن تحميه من كل ألم إنما تعد أبناءها للشقاء في المستقبل)، كما يرى أن يترك الطفل يتحمل النتائج الطبيعية لأعماله، دون تدخل أي إنسان، ويقول: إذا أبطأ الطفل في ارتداء ملابسه للخروج في نزهة، فاتركه في المنزل، وإذا كسر النافذة فاتركه يتحمل برودة الجو.(٤١)

يرى أنه لا يجب النظر للطفل على أنه رجل صغير، له عقل يتصف به، فهو ليس مصغر رجل، ولكنه كائن في طريق النمو، والطبيعة تتطلب أن يكون الأطفال أطفالا قبل أن يصبحوا رجالا، فإن كنا نريد العكس ونعامل الطفل كرجل صغير فإننا سنجني ثمارا قبل أوانها، ليس فيها نضج ولا نكهة، لذا يقول (دعوا الطفولة تنضج في الطفل).(٤٢)

ومن المآخذ التي أخذت على آراء "روسو" من الناحية النقدية محدودية نظرته لإمكانات المرأة العقلية، وتقليله لقيمة الكتب في عمليات التحصيل والمعرفة، حيث أهمية القراءة والاطلاع لجميع الأعمار لبناء الفرد وتطور الحياة.(٤٣)

أخيرا وبالنظر إلى رؤية "روسو" ورومانسيته وخيالاته وحماسه العاطفي يمكن أن نلاحظ الكثير من المتناقضات، الأمر الذي جعل أفكاره فيما بعد، منطلقا لكثير من النظم والأيدلوجيات المتناقضة المتصارعة، مما جعلها غير قابلة للتطبيق، ولكن رغم ذلك يرجع إلى هذه الأفكار التحول الكبير في الفكر التربوي من العقل والتمسك بالتقاليد، إلى الاهتمام بالجانب العاطفي.(٤٤) ورغم أنه قد وافقه كثيرون في كثير من آرائه في التربية وعارضه آخرون في بعض آخر إلا أننا نجد أن "روسو" مؤسس التربية الحديثة، والتربية فيما بعده مدينة له، والمربون لا يُنكرون فضله.(٤٥)

يوحنا هنري بستالوتزي
J. H. Pestalozzi
(1827-1746)

حياته :

ولد "بستالوتزي" في مدينة زيورخ بسويسرا عام ١٧٤٦ من عائلة متوسطة الحال، وكانت أسرته من الأسر القلائل التي كان لها حق التصويت في انتخابات مجلس المدينة.(٧) فقد والده الذي كان طبيبا وهو في عامه الخامس، فقامت أمه على تربيته هو وأخيه وأخته، وكانت طيبة ورعة كرست كل وقتها واهتمامها لتربية أطفالها. ونشأ "بستالوتزي" في بيئة نسائية مما أبعده عن أصدقاء سنه، فأثر هذا عليه وأبعده عن الخشونة وقوة التحمل، وحُرم مخالطة الناس، وقد شب قليل الثقة بنفسه، ضعيف الإرادة، يحب الوحدة ويتهيب المجتمعات، مما أثر عليه في أعماله، لكنه كان عميق التفكير، جامح الخيال، يحب القراءة، ويعطف على الفقراء والبائسين.(٨)

درس "بستالوتزي" اللاهوت وأصبح قسيسا، ثم درس الحقوق، لكنه سرعان ما انصرف عنهما على إثر قراءته (لإميل) - كتاب "روسو" - وانشغل بالتربية التي وجد فيها ضالته، فبدأ العمل في الزراعة لإعطاء نموذج للمزارعين، لكنه أخفق في هذا. ولم يُثنه إخفاقه هذا عن إجراء محاولات وتجارب جديدة لمساعدة فقراء الريف، ففكر في تنفيذ مشروع طالما حلم به، يهدف إلى تعليم أبناء فقراء الريف،(٩) فقد اطلع على بؤس الفلاحين وشعر بشقائهم عند زياراته لجده القسيس وعمه الطبيب اللذين كانا يسكنان الريف، ووجد أن السبيل لتخليص الفلاحين من هذا البؤس والشقاء هو التربية والتعليم، فرأى أنه يجب تعليم أولاد الفلاحين تعليما سليما، وأن يجمعوا بين القيام بالأعمال الخفيفة من جهة، وتعليم ما يحتاجون إليه من جهة أخرى.(١٠) فاقتنى مزرعة جديدة وبنى فيها بيتا سماه (نيوهوف)، أي المزرعة الجديدة، وانتقل إليها هو وأسرته(١١) لتنفيذ هذا المشروع.

مدارسه وتجاربه التربوية :

تجربة (نيوهوف):

وهي المدرسة الأولى التي أسسها "بستالوتزي" عام ١٧٧٥ لتعليم أبناء الفقراء، جمع فيها حوالي عشرين طفلا من أبناء الفقراء المعدمين، وألبسهم ثيابا جيدة وأطعمهم وأحسن معاملتهم، وبدأ أول تجاربه التربوية، حيث بدأ تعليم الأطفال الذكور الزراعة ورعاية البساتين في المزرعة، أما الإناث فقد عمل على تدريبهن بمساعدة زوجته على واجبات المنزل، كالطهي والخياطة وأعمال الإبرة، وعندما يسوء الجو كان يجمع الأولاد والبنات داخل المنزل ويعلمهم أعمال الغزل والنسيج، ويحفظهم فقرات من الإنجيل قبل البدء في تعليمهم القراءة والكتابة اللتين جرى تعليمهما أثناء قيامهم بمزاولة الحرفة التي يتعلمونها، في محاولة من "بستالوتزي" لربط التعليم بالحرفة أو المهنة، ونجحت تجربته هذه نجاحا كبيرا، فأحرز الصغار تقدما جسميا وعقليا، وتعلموا حرفا وصناعات مفيدة مما جعله يتوسع في تجربته، فزاد عدد الصغار بدرجة كبيرة كانت سببا في إفلاسه، فأغلق المدرسة عام ١٧٨٠، وكان هذا الفشل الثاني في حياته العملية.[١٢] فهجرته زوجته مع ابنها وظل وحيدا، لكنه استطاع أن يضع آراءه التربوية ومذاهبه في كتابه (ساعات الناسك الليلية)، كما جرب كتابة القصص، فألف قصة سماها (ليونارد وجرترود)، وجرترود هي سيدة قروية استطاعت بحسن خلقها وطيبتها أن تصلح حال زوجها ليونارد المدمن حتى صار مثلها، وقامت على رعاية أبنائها وأبناء جيرانها بنجاح، وبعد أن طُبعت هذه الرواية لاقت نجاحا كبيرا، واكتسب "بستالوتزي" شهرة كبيرة في كل أنحاء ألمانيا.[١٣]

تجربة استانز :

في عام ١٧٩٨ وصلت الثورة الفرنسية إلى سويسرا، فقصدت جيوش الفرنسيين الأقاليم الكاثوليكية، وحرقوا المنازل ونهبوا الأموال وقتلوا الأهالي، وكان "بستالوتزي" من المعجبين بآراء "روسو" في السياسة والتربية فصار نصيرا

للثورة الفرنسية، وأحد أعوانها في سويسرا، فرأت الحكومة في هذه البلاد أن تستميل "بستالوتزي" فأرسلته إلى (استانز) وهي إحدى القرى التي خلفت الثورة الفرنسية فيها أيتاما لا عائل لهم، ليعمل معلما بها، فوجد "بستالوتزي" الفرصة في تجريب نظرياته في تعليم الصغار، تلك النظريات التي بنيت على المبدأ القائل بأن التعليم الصحيح يحدث عندما يرتبط العمل بالنشاط والتعليم النظري.

ولقد كان عمل "بستالوتزي" في تجربة (استانز) مرهقا، إذ لم يجد معاونة من المجتمع حوله، وكان يقوم على سد حاجات الصغار اليومية، ويعاملهم بالشفقة والمحبة خلال مزاولتهم للنشاط والعمل، وذلك لتنمية النواحي العاطفية فيهم، ثم يبدأ في تدريبهم حتى يتمكنوا من ممارسة ما اكتسبوه من عاطفة في بيئاتهم ومحيطهم الخاص.(١٥) غير أن هذه التجربة انتهت بعودة الفرنسيين إليها بعد بضعة أشهر.(١٦)

تجربة برجدورف:

ثم ذهب بستالوتزي إلى بلدة (برجدورف: Bergdorf) فأسس فيها أول معاهده لتدريب المعلمين، وفي هذا المعهد الذي استمر يعمل لأربع سنوات (١٨٠٠- ١٨٠٤) بدأ تطوير نظرياته التربوية وعمله الحقيقي كمدرس، وكان الهدف الذي يسعى إليه "بستالوتزي" في هذه التجربة، تعليم الأطفال عن طريق تنمية حواسهم وقدراتهم الذاتية وليس شحن عقولهم بالمعلومات، أي أن أسلوب التعليم كان عنده أهم من نتائجه.(١٧)

تجربة (إيفردون: Yverdon):

تجربة إفردون هي خاتمة تجارب "بستالوتزي" التربوية في تعليم الصغار، حيث نقل معهده إليها عام ١٨٠٥، وقد شغل المعهد قلعة قديمة كانت قد أعدت لتكون معهدا للتعليم، حيث كانت تشمل عددا من القاعات الفسيحة التي تصلح للدراسة، وبها عنابر لإقامة التلاميذ وقاعات للاجتماعات، وكان المعهد يضم عددا كبيرا من العاملين والتلاميذ وصل إلى مائتين وخمسين فردا من

مختلف الجنسيات ومن البنين والبنات، وقد عني "بستالوتزي" بغذائهم الذي راعى فيه النظافة والكفاية دون ترف، وجعل الألعاب والغناء من الأنشطة التي تتخلل الدروس العلمية والعملية.[١٨] وقد استمر المعهد في (إيفردون) حوالي عشرين عاما، طبق فيها "بستالوتزي" طرقه التربوية، ونجح وذاع صيته في كل أنحاء أوروبا، وجاءه المربون والفلاسفة يستشيرونه ويأخذون رأيه.[١٩] لكن هذا النجاح الباهر لم يقِ هذه المؤسسة من الانهيار عام ١٨٢٥ بسبب ضعف إدارتها من ناحية، وحسد معاونيه من ناحية أخرى، وعلى إثر ذلك انسحب "بستالوتزي" من ميدان التربية لينزوي في (نيوهوف)، حيث توفي هناك بعد سنتين، وبعد عمر زاخر بالعمل والنشاط المستمر.[٢٠]

أفكاره وآراؤه في التربية:

يعتبر "بستالوتزي" رائدا من رواد التربية في القرن التاسع عشر، ومصلحا اجتماعيا، ومن آرائه الإصلاحية في التربية ما أشار إليه من أن نظم التربية في حاجة ماسة إلى تغيير هدف التربية الذي كان في السابق هو التعليم، فغيره إلى النمو، فالتربية في نظره ليست تعليما، بل هي نمو. وأوضح أن للنمو ثلاثة جوانب هي، الجانب العقلي، والجانب الجسمي، والجانب الأخلاقي.[٢١]

هذا ويمكن تلخيص أبرز آراء "بستالوتزي" التربوية في النقاط التالية:[٢٢]

١. الملاحظة أساس التربية والتعليم.

٢. يجب أن ترتبط دراسة اللغة بالملاحظة واستعمال الحواس.

٣. وقت التعليم غير وقت الحكم والنقد، فلا مناقشة ولا نقد من قبل التلميذ أثناء الدرس.

٤. يجب البداية في موضوعات الدراسة بالأسهل، ثم الانتقال إلى الأصعب، ويكون هذا الانتقال تابعا لنمو المدارك وارتقاء القوى العقلية.

٥. يجب عدم الانتقال إلى الدرس التالي حتى يتثبت التلاميذ من الدرس السابق ويجيدوا فهمه إجادة تامة.

٦. يجب أن يعامل المعلم تلاميذه باحترام.

٧. ليس الغرض من التربية الابتدائية شحن أذهان الأطفال بالعلوم والفنون، وانما الغرض منها إنماء القوى العقلية وإيقاظ المواهب الكامنة فيهم.

٨. يجب أن ينتج العلم قوة، وأن ينتج التعلم مهارة.

٩. يجب أن تكون المحبة هي الأساس الذي يربط المعلم بمتعلميه، والمحور الذي يدور حوله النظام المدرسي.

١٠. يجب ألا يكون التعليم غرضا أصليا، بل هو وسيلة لغاية أسمى هي التربية.

١١. علاقة الأم بولدها هي أساس التربية النفسية.

أهمية أفكاره وآرائه التربوية وتأثيراتها:

- ركز على أهمية هدف التربية الجديد، ذلك الهدف الذي لم يكن واضحا من قبل وهو (النمو).
- وضع طرق تدريس جديدة مبنية على مبادئ جديدة وعلى أسس علمية.
- أعطى لحرفة الدروس روحا جديدة كل الجدة.
- أوضح أن مشكلة التربية بكاملها يجب أن تعالج من وجهة نظر الطفل نفسه.
- جعل التجريب قاعدة للعمل التربوي بدلا من التقليد.

وهكذا نجد "بستالوتزي" قد تجاوز أفكار "روسو"، حيث لم يكتف بالدراسات النظرية فقط، بل تخطاها إلى الصعيد التطبيقي، فكان بذلك أول المربين المؤسسين للمدرسة الشعبية بمفهومها الحديث.[٢٤]

فريدريك فروبل
F. W. Frobel
(1861 – 1782)

حياته:

ولد "فريدريك ولهلم فروبل" في أوبرفزباخ Oberweissbach الألمانية، توفيت والدته وعمره سنة ونصف، وكان أبوه قسيسا يشرف على أبراشية واسعة شغلته عن تربية ابنه "فروبل"، فعهد به إلى الخدم الذين أهملوا رعايته،[٢٥] مما جعل "فروبل" يهرب إلى حديقة المنزل والغابات المجاورة له ويقضي بها وقتا طويلا، فأصبح مولعا بالطبيعة منذ صغره، وقد حاول والده أن يعلمه القراءة فأفلح في ذلك ولكن بصعوبة، ولم يرسله إلى المدرسة إلا بعد أن بلغ العاشرة من عمره، حيث حفظ نصوصا من الإنجيل،[٢٦] ثم انتقل فروبل" إلى كنف خاله الذي كان يسكن مدينة صغيرة قرب منزله، وبقيَ مع خاله فترة قصيرة التحق فيها بالكنيسة، إلا أنه لم يصل إلى المستوى المرغوب فيه، ولكنه تعلم القراءة والكتابة والحساب والدين.[٢٧] وقد عاد "فروبل" إلى منزل والده وهو في الرابعة عشرة من عمره، ولم يلتحق بالجامعة نسبة لعدم مقدرة والده المادية. وفي عام ١٧٩٧ شغل "فروبل" وظيفة في الغابات لمدة عامين، تميزت حياته خلالها بأمور أربعة:[٢٨]

١. الحياة المستقرة العملية السعيدة.
٢. الحياة التي أمضاها في رحاب الطبيعة وسط الأشجار.
٣. دراسة بعض العلوم التي أحبها مثل الرياضيات والغابات وقراءة علم النبات.
٤. تعمقه في دراسة علم النبات الذي أحبه حبا عميقا.

وفي عام (١٧٩٩) ذهب "فروبل" إلى زيارة أخيه الذي كان يدرس في جامعة (يينا: Jena) فأعجب بالنشاط الفكري الكبير الذي كان يمارس في الجامعة، فالتحق بها ودرس الرياضيات التطبيقية والحساب والجبر والهندسة وعلم المعادن

وعلم النبات، إلى جانب بعض العلوم الأخرى، والإشراف على الغابات وفن العمارة وبناء المنازل ومسح الأراضي،[٢٩] غير أنه قطع دراسته الجامعية وذهب عام (١٨٠٥) إلى مدينة فرانكفورت ليعمل فيها مدرسا في إحدى مدارسها النموذجية. فلمس في نفسه موهبة للعمل في مجال التعليم، فذهب إلى "بستالوتزي" وتتلمذ على يديه في (إيفردون)، وقد ترك هذا الحدث في نفس "فروبل" أثرا عميقا. ولما عاد إلى ألمانيا التحق بجامعة (جوتنجن) عام (١٨١٠) ليزيد من معارفه، ثم جامعة برلين،[٣٠] وفي عام (١٨١٣) التحق بالجيش لحماية وطنه ضد (نابليون بونابرت). وبعد انتهاء الحرب في عام (١٨١٤) عاد إلى برلين وعمل مساعدا لمدير المتحف الملكي ببرلين، وفي عام (١٨١٦) افتتح "فروبل" مدرسته التي أسماها المعهد الدولي الألماني، التي نجح فيها بمساعدة زوجته وذاع صيته، وعلى إثر ذلك طلبت منه الحكومة أن يضع خطة لإنشاء ملجأ في (برجدورف).[٣١]

وقد استطاع "فروبل" أن يؤسس روضة قام بافتتاحها عام (١٨٤٠)، وكما نجح في معهده الأول نجح في هذه الروضة، التي تعد أول روضة في تاريخ التربية، ولكن أغلقت هذه الروضة على إثر اتهام بعض الحاقدين والحاسدين "لفروبل" بأنه يدعو الأطفال للإلحاد، مما حدا بالحكومة الألمانية إصدار أمر بإلغاء الروضة.[٣٢] ولكن بعد ذلك انتشرت فكرة رياض الأطفال في جميع أنحاء العالم، وتنتسب باسمها إلى "فروبل" الذي أخرجها إلى حيز الوجود، والذي جعل التعليم فيها يتم من خلال اللعب واللهو، أما الكتب والدروس الاعتيادية فلا تدخل إلى رياض الأطفال لأن ذلك لا يجوز قبل سن السابعة.[٣٣]

هذا ولقد كانت "لفروبل" إسهامات كثيرة في مجال الثقافة والتعليم، حيث أصدر صحيفة أسبوعية، وألقى عدة محاضرات، ونشر كتابا بعنوان (تربية الإنسان) وآخر بعنوان(أغاني الأم)، وقد واجه صعوبات جمة كتلك التي واجهها معلمه "بستالوتزي" من شح المال، وحسد معارضيه المسؤولين الرسميين، ولكن

بالرغم من هذا فإن أفكاره، حين وفاته، بدأت تؤتي ثمارها وانتشرت في أوروبا.(٣٤)

ملامح الفكر التربوي "لفروبل":(٣٥)

❖ الإيمان بمبدأ الوحدة أو وحدة الكائنات الحية، فالإنسان يشكل وحدة في ذاته، وفي الوقت نفسه هو جزء من وحدة أخرى، تتمثل في المجتمع الذي يعيش فيه، ويرى "فروبل" أن الترابط الداخلي بين الإنسان والطبيعة أنتج علاقة الجزء بالكل، ويتضح ذلك في كل مظاهر الحياة، وامتد نطاق هذه الوحدة ليشمل الله والطبيعة، وأن الكون المادي والإنسان هما مظاهر للذات الإلهية.

❖ الإيمان بمبدأ التطور العضوي، ويشمل هذا المبدأ الناحية العقلية والانفعالية، فجميع أعضاء الإنسان، ووظائفه النفسية وقدراته العقلية، تنبع من هذه الوحدة العضوية، وبالتالي تنطبق عليها قوانين التطور العضوي التي تتمثل في: النمو من البسيط إلى المركب، ومن الغامض إلى الواضح، ومن العام إلى الخاص، والطبيعة الأساسية للإنسان في بدايتها هي مجرد استعداد وإمكانية، ثم تتحقق صفتها المناسبة عن طريق النمو، وما يميز الإنسان عن غيره أنه مزود بالإدراك والعقل اللذين يشعرانه بذاته وبحقيقته، وهذا الشعور بالذات يجعله يشعر ويتعاطف، ويفهم ويعرف قواه وقدراته الخاصة، ويعتبر هذا الشعور بالذات الخطوة الكبرى نحو التقدم في عملية التطور.

❖ الإيمان بأن الفرد يعيد في جميع مظاهر نموه تطور الجنس البشري، ويلخص المراحل التي مر بها الجنس البشري في تطوره الحضاري والثقافي، ويُعبِّر عن هذا المبدأ في مجال العلوم البيولوجية (بالنظرية التلخيصية) ومع هذا فالإنسان لا يقول ذلك عن تقليد، بل يفعله بطريقة اختيارية تدفعه له دوافع داخلية.

❖ آمن "فروبل" بالنمو البشري وبأنه تدريجي ويمر بمراحل، وأن الاهتمام بمرحلة من المراحل لا يعني الإعداد للمرحلة التالية فقط، وإنما لكل مرحلة أهميتها ودورها الخاص بها، لذلك من الضروري الاهتمام بمراحل النمو جميعا.

❖ كذلك آمن "فروبل" بأن النمو الإنساني لا بد أن يقوم على تمتع الإنسان بالحرية والاختيار والمشاركة فهو الذي يختار الطرق والأساليب المناسبة التي تحقق أهدافه وغاياته، لأن الإنسان - وفقا لنظرة "فروبل" - ليس آلة تحركها قوى خارجية، وإنما يستطيع أن يقيِّم غاياته وأغراضه ونتائج سلوكه، ويختار نمط حياته وفقا للحرية المكفولة له.

❖ الإيمان بخيرية الطبيعة البشرية النابعة من الفطرة الأصلية، وبأن أي انحراف من الإنسان إنما ينشأ عن الإهمال في بعض مظاهر الحياة الإنسانية، أو عن انحراف القوى والاتجاهات الإنسانية الحسنة والخيرة بطبيعتها، بسبب التدخل الخاطئ في طريق سير النمو البشري.

وقد رأي "فروبل" أن الطفل في الروضة يحب الحركة واللعب وتدفعه غريزة حب الاستطلاع إلى استخدام حواسه في المعرفة والتعرف على محيطه، لذلك يجب على رياض الأطفال توفير كل ما يساعد الطفل على نمو جسمه، واستثارة أفكاره وقدراته العقلية، وتنمية مشاعره الدينية البسيطة التي تبعث على التدين وترقى بالأخلاق وتعلم اللغة، لذلك ابتكر (فروبل) عشرين لعبة لتوظيف ميول الأطفال وتسهيل عملية التعلم منذ شهور الطفل الأولى، والتي تساعده على الحصول على المعرفة، مستخدما في ذلك حاستي اللمس والبصر، وقد رتب هذه اللعب التي أطلق عليها اسم (الهدايا) من البسيط إلى المركب ومن المعلوم إلى المجهول.[٣٦]

ومن هذه الهدايا واللعب على سبيل المثال:[٣٧]

الهدية الأولى: مكونة من ست كرات من الصوف مختلفة الألوان، الهدف منها تعليم الطفل ذي الثمانية أشهر الأحجام، وخواص الأجسام من نعومة وخشونة.

الهدية الثانية: عبارة عن كرة ومكعب واسطوانة من الخشب، يتعلم الطفل من خلالها الأشكال المختلفة تمهيدا لتعلم الحساب والهندسة.

الهدية الثالثة: وهي عبارة عن صندوق يحتوي على ثماني مكعبات خشبية متساوية، ليستخدمها طفل السنة الثانية في البناء والهدم، فهي تعمل على تقوية

روح الاختراع والابتكار لدى الطفل، كما تعلمه العد والجمع والطرح والضرب والقسمة ومبادئ الكسور.

الهدية من الرابعة إلى السادسة: وتتكون من صندوق كبير من الخشب مؤلف من ثمانية قوالب مستطيلة ذات أوجه متوازية تشبه علب الكبريت والطوب الذي يستعمل في البناء، وتصلح للأطفال حتى التاسعة أو العاشرة من أعمارهم، وتعمل على تعليم الحساب أيضا.

الهدية من السابعة إلى العاشرة: هي صندوق يحتوي على ثمانية وأربعين قطعة من الورق الملون ذات أشكال مختلفة، تقدم لطفل الرابعة ست قطع منها في البدء، وتحاول المعلمة أو الأم تمهيد السبيل لكشف الصفات الخاصة بهذه المادة المقدمة للطفل ومقابلتها بأشياء أخرى لها ذات الصفات، مع توجيه أسئلة سهلة مثل: ما شكل القطعة ؟ كم جانب لها ؟ كم ركن ؟ هل جوانبها متساوية ؟ هل رأيت أشكالا مشابهة لهذا الشكل ؟ ما الشكل الذي يشبهها في الغرفة ؟.... ومن خلال ذلك يمكن أن يتعرف الطفل على بعض المصطلحات الرياضية مثل (الزاوية وأنواعها، والتوازي.....)، ويستطيع أن يبحث عن الزاوية القائمة في الغرفة (في أركان الفصل والأدراج) وكذلك يبحث عن الخطوط المتوازية التي لا تلتقي أبدا مثل خطوط أدراج الفصل والنوافذ والمناضد.... ثم تقدم المعلمة للطفل البناء بثماني قطع، ثم باثنتي عشرة قطعة، ثم بست عشرة قطعة،،، وهكذا تتدرج المعلمة مع الطفل

آراء "فروبل" في تربية الطفل:

كان لفلسفة "فروبل" في التربية الفضل الأكبر في إرساء مبادئ التربية في الطفولة المبكرة، حيث يرى أن هدف التربية الأساس هو توجيه نمو الطفل جسميا وعقليا ووجدانيا، وأن وسيلة ذلك هي النشاط الذاتي،[٣٨] وكان "فروبل" يرى أن أنسب إنسان لتعليم الطفل وتربيته هو المرأة، لتمتعها بقلب رقيق عطوف، ولعل هذا أهم تغيير أحدثه "فروبل" في آراء كل من "روسو" و"بستالوتزي"، وهو

ضرورة تعليم المرأة تعليما يؤهلها لهذه المهنة المقدسة، بأن تأخذ قسطا وافرا من التعليم ولا تكتفي بالإعداد للحياة المنزلية.[٣٩] ويمكن تلخيص آراء "فروبل" في النقاط التالية:[٤٠]

١/ إن المرأة أنسب إنسان لتعليم الطفل وتربيته في الروضة.

٢/ يجب تأهيل وإعداد المرأة لتكون مؤهلة تربويا.

٣/ ضرورة ذهاب الطفل للروضة ليتفاعل اجتماعيا مع الأطفال من خلال اللعب والأعمال التي تعمل على تكوين اتجاهات جديدة لديه.

٤/ إن عقل الطفل وحدة يجب أن تُقرن بالسعادة.

٥/ ضرورة ربط أعمال الطفل بالطبيعة والخالق والإنسان، وتركه ليختارها بنفسه.

٦/ ضرورة وجوب التعلم من خلال الملاحظة والاستنتاج من قبل الطفل.

٧/ أن تكون تنشئة الطفل على أساس من نمو الناحية الجسمية والعقلية والروحية، وتنمى من خلال تعلم وتنمية ما يلي:

- القراءة والكتابة والحساب.
- علاقات الحب بين الأطفال والزملاء والمعلمة.
- الحياة الاجتماعية والتربية الخلقية.
- التربية الدينية.
- الأنشطة الفنية.
- تربية الحواس للمعرفة.

من هنا تتضح أهمية فكر "فروبل" في التربية، الذي أحدث تغييرا كبيرا في مجال تربية الطفل، فقد ركز على الأهداف الخُلقية والتدريبات اليدوية، وكان رائدا في ابتكار برامج مناسبة للطفولة المبكرة، وممتعة للأطفال ومؤثرة فيهم.[٤١]

جان بياجيه
(Jean Piaget)
(1980-1896)

حياته:

ولد "جان بياجيه" عام ١٨٩٦م في نيوشتل Neuchâtel في سويسرا، كان أبوه أستاذا للتاريخ في جامعة البلدة، وقد خصص مؤلفاته لكتابة تاريخ نيوشتل، وبعض الكتابات الأدبية حول القرون الوسطى، لم يكن أبوه مهتما بالمسائل الدينية مثل أمه التي كانت متدينة، لذلك ربت ابنها "بياجيه" حسب تعاليم البروتستانت،[٤٢] فترك عدم التوافق الديني بين والديه أثرا كبيرا على تفكيره، وأوجد لديه صراعا بين العقيدة والمعرفة.[٤٣]

وقد كان "بياجيه" لامعا في طفولته، ذا رغبة عالية في الاستطلاع، مما حدا به نشر أول مقال علمي له وهو في العاشرة من عمره، وفي الحادية عشرة من عمره عمل مساعدا في مختبر المتحف التاريخي الوطني، وأصبح خبيرا بالمتاحف فيما بعد.[٤٤] نال الشهادة الجامعية وعمره ثمانية عشر عاما، وفي سن الثانية والعشرين حصل على الدكتوراه في العلوم الطبيعية من جامعة نيوشتل،[٤٥] وذلك عن بحث قدمه حول (الرخويات)، ومنذ ذلك الحين بدأت مراحل اكتشافاته العلمية، فقد كان يقوم بتجاربه بعفوية الإنسان العادي في ممارسة حياته اليومية، فكل مشاهدة له تعني ملاحظة علمية، وكل حديث - حتى مع الأطفال - يستثير فضوله، فتوحدت عنده المعرفة والحياة.[٤٦]

وفي عام ١٩١٩م انتقل "بياجيه" إلى باريس، حيث اتصل بعدد من الفلاسفة الذين كانت لهم إسهامات كبيرة في وضع اختبارات الذكاء، من أمثال (سيمون) و (الفريد بينيه). وقدم هو وزملاؤه من علماء النفس نظرية شاملة لتفسير الذكاء وعمليات التفكير، وألف "بياجيه" أول كتاب له في علم

النفس التطوري عام ١٩٢١م، وتسلم بعد ذلك إدارة مركز "جان جاك روسو" للعلوم التربوية في جنيف.[٤٧]

في عام ١٩٥٢م عاد "بياجيه" إلى نيوشتل واحتل كرسي الفلسفة في الجامعة، وتزوج وأنجب ثلاثة أبناء وفرت له ولادتهم مختبرا سيكولوجيا لتدوين ملاحظاته عن دراسة تفكير الأطفال، إلى أن توصل إلى وضع نظريته عن النمو المعرفي لدى الطفل،[٤٨] كما اهتم بالدافعية والإدراك والاتجاهات والقيم عند الأطفال.[٤٩] وقد نهج "بياجيه" في ملاحظته لسلوك الأطفال ما يعرف بطريقة الملاحظة الناقدة التي تعتمد على الملاحظة الهادفة والمقابلة، حيث تراعى فيها العفوية في سلوك الطفل وتصرفاته،[٥٠] ومن ملاحظاته أن الأطفال لا يرثون القدرات العقلية، بل هي استجابة طبيعية للبيئة، كذلك لاحظ أن السلوك الإنساني المعرفي يجب أن يُنظر إليه من خلال الجوانب الأربعة التالية: ما هي الجوانب التي لابد ان ينظر إليه المعرفة لسلوك الانساني المعرفي ؟

١- النضج : ويقصد به تفاعل الجهاز العصبي.

٢- الخبرة : ويقصد بها التفاعل مع العالم المادي.

٣- التطبيع : ويقصد به الرعاية والتعليم وأثرهما على خبرة الفرد.

٤- التوازن : ويقصد به المواءمة بين الذاتي للتكيف والتكوين المعرفي.

وهذه الجوانب تعتبر الركائز الأساسية في التكوين المعرفي للطفل، لذلك يجب توفير بيئة تعليمية في رياض الأطفال غنية بالأدوات والأنشطة التي تتفق مع مستوى هذه الجوانب، وتعمل على تنميتها.[٥١]

وتعد فترة الثلاثينات من القرن الماضي من أخصب فترات حياة "بياجيه" العلمية، فبالإضافة إلى أبحاثه عن النمو العقلي للأطفال قدم العديد من المقالات والدراسات في المنطق ونظرية المعرفة،[٥٢] أو النظرية البنائية المعرفية.

وقد تجمع لدى "بياجيه" كما هائلا من المؤلفات والمنشورات العلمية من أهمها:[٥٣]

(١) اللغة والتفكير عند الطفل (١٩٢٣).
(٢) الحكم والاستدلال عند الطفل (١٩٢٤).
(٣) تمثيل العالم عند الطفل (١٩٢٦).
(٤) بناء الواقع عند الطفل (١٩٣٧).
(٥) ولادة الذكاء عند الطفل (١٩٣٦).
(٦) تكوين العدد عند الطفل (١٩٤١).
(٧) صياغة الرمز عند الطفل (ذ٩٤٦).
(٨) علم نفس الذكاء (١٩٤٧).
(٩) الانتقال من منطق الطفل إلى منطق المراهق.
(١٠) بحث في علم النفس التجريبي.

البنائية وعلاقتها بالتربية:

تعد التربية من أحدث الميادين التي طرقتها البنائية، حيث ظهرت البنائية في مجال التربية مرتبطة ببناء المعرفة وبنية المفاهيم، لذا عرفت بالبنائية المعرفية أو البنائية المفاهيمية في التربية، وظهر ما يسمى بالمناهج البنائية والطالب البنائي.(٥٤)

والتعلم عند "بياجيه" هو استيعاب الوقائع ذهنيا والتلاؤم معه في نفس الوقت، لذلك يرى أن هناك عددا من الضوابط يجب مراعاتها في العمل التربوي التعليمي:(٥٥)

١) جعل المتعلم يكوّن المفاهيم ويضبط العلاقات بين الظواهر بدلا من استقبالها عن طريق التلقين.
٢) جعل المتعلم يضبط الأجسام والعلاقات الرياضية بالمحسوسات، ثم ينتقل إلى تجريدها عن طريق الاستدلال الاستنباطي.
٣) إكساب المتعلم مناهج وطرائق التعامل مع المشكلات، واتجاه المعرفة الاستكشافية بدلا عن الاستظهار.

(٤) تدريب المعلم على التعامل مع الخطأ كخطوة في اتجاه المعرفة الصحيحة.

(٥) إكساب المتعلم الاقتناع بأهمية التكوين الذاتي.

المبادئ التربوية المستمدة من نظرية "بياجيه":

- يجب أن يكون التعليم شيقا ونشطا ليقوم الطفل بالتعلم الذاتي من المواقف التعليمية المختلفة.(٥٦)
- أهمية التفاعل بين الأطفال في المدرسة مع أقرانهم ومع الراشدين، وضرورة العمل في جماعات، وإتاحة الفرصة لهم لإجراء المحادثات والمناقشات فيما بينهم.(٥٧)
- ٣- أهمية العمل العقلي المبني على التجربة المباشرة وليس على اللغة.
- ٤- يرى "بياجيه" أن المدرسة ليست مكانا للطاعة فقط، وإنما هي مدرسة للحس الاستقلالي والتعاون، فالطفل إنما يصبح خلوقا بممارسة السلوك الأخلاقي مع زملائه في المدرسة.(٥٨)

مقتضيات عمل "بياجيه" فيما يخص عمل المربين:

وضع بياجيه عددا من المقتضيات فيما يخص عمل مربي طفل ما قبل المدرسة من أهمها:(٥٩)

(١) مراعاة الفرق بين تفكير الطفل وتفكير البالغين، فعلى المربي ملاحظة مستوى التطور والأداء الذي يصل إليه الطفل في كل مرحلة، وأن يسير بكل طفل وفقا لسرعته واستعداداته.

(٢) توفير محيط مناسب وممتع وآمن يعطى فيه الطفل حرية الحركة والاختيار، بدلا من التعلم المباشر.

(٣) الإجابة عن أسئلة الطفل لأنها قد تكون مفتاح تعلمه للأشياء، واستخدام المفاهيم واللغة التي تقع ضمن قاموسه، وتقديم الشرح عن طريق النشاط للوصول إلى تعلم أفضل.

(٤) استخدام مثيرات معتدلة الجدة، أي الخبرات التي لا تختلف إلا قليلا عن خبراتهم السابقة، لذلك على المربي أن يكون ملما بخصائص الأطفال، وأن يعرف ما الخبرات معتدلة الجدة لكل منهم، وما الذي يثيرهم، مع اعتبار للفروق الفردية بين الأطفال.

(٥) السماح للأطفال بالمناقشة وإتاحة الفرصة لهم للحديث مع بعضهم بعضا، فإن ذلك يساعد في تنظيم أفكارهم والتعبير عنها بطريقة اجتماعية أكثر منها ذاتية.

(٦) إن طريقة المقابلة الفردية التي وضعها "بياجيه" في ملاحظة سلوكيات الأطفال تعتبر وسيلة ناجحة إذا ما استعملها المربي في فهم مشكلات التعلم.[٦٠]

(٧) الاستفادة من أخطاء المتعلم في بناء المواقف التعليمية بتجاوز جوانب الضعف فيها.[٦١]

(٨) توفير الألعاب التربوية وتدعيم الأنشطة التعليمية باللعب وجعل المتعلم يشعر بالحرية والتلقائية والمتعة في أدائها.[٦٢]

د. ماريا مونتسوري
Maria Montessori
(1952 – 1870)

حياتها:

ولدت "مونتسوري" عام ١٨٧٠م في قرية كيارافللي Chiaravalle بالقرب من روما بإيطاليا، وقد تعلمت وتخرجت في كلية الطب كأول إيطالية درست الطب، وكان ذلك عام ١٨٩٤م بجامعة روما،[٦٣] وعملت كطبيبة مساعدة في مستشفى للأمراض العقلية في روما، مما دفعها للتخصص في معالجة الأطفال المعاقين عقليا، وأسست أول مدرسة لها سنة ١٩٠٧م[٦٤] واستطاعت فيها تعليم الأطفال المعاقين عقليا القراءة والكتابة، حيث لاحظت أن هؤلاء الأطفال يمكنهم الالتحاق بالمدارس العادية، كما يمكنهم أن يجتازوا الامتحان بنجاح.[٦٥] كذلك افتتحت مونتسوري دارا لحضانة الأطفال في حي فقير في روما أسمتها (بيت الأطفال)، طبقت فيها تجربتها في تعليم الأطفال في بيئة خاصة أعدتها بهدف تعليمهم بواسطة أجهزة تعليمية، صممتها لتعليمهم مهارات معينة، ومدهم بمعلومات معينة وتدريبهم على سلوك معين،[٦٦] من بينها الأدوات التعليمية التي تؤكد التفاعل بين الأنشطة الحس حركية، والنمو المعرفي مثل (البازلز، والمجسمات، وكروت الحروف)،[٦٧] لذلك قامت الحكومة في إيطاليا بتعيينها مفتشة عامة على المدارس الإيطالية عام ١٩٢٢م.[٦٨]

وقد ابتكرت "مونتسوري" طريقة جديدة في التربية ذكرتها في كتابها (سر الطفولة)[٦٩] تعد محصلة لتيارين جديدين، **أولهما:** التربية السلبية التي تمنع الكبار من التدخل في أعمال الطفل بأي شكل من الأشكال، **وثانيهما:** الاهتمام بحواس الطفل كوسيلة للتعليم، خاصة الأطفال ذوي

الحاجات الخاصة،[٧٠] وقد كان طريقتها وأفكارها التربوية سببا في تقدم الفكر التربوي، رغم أنها لاقت انتقادات في بعض جوانبها.

الآراء التربوية لـ "مونتسوري":[٧١]

١) إعطاء الطفل الحرية من خلال التربية السلبية ليشبع ميوله معتمدا على نفسه، على أن يراعي حقوق الآخرين.

٢) رفض أسلوب القسوة والضرب في تعليم الطفل.

٣) إلغاء التعليم الجماعي الذي لا يراعي الفروق الفردية بين الأطفال.

٤) اهتمت بحواس الطفل.

٥) تعويد الطفل على التفكير.

٦) السماح للطفل بالحركة، فهي ظاهرة صحية.

٧) جعل الطفل محور العملية التعليمة وليس المنهج.

٨) الاهتمام بالوسائل التعليمية في تعليم الطفل، فهي تساعده على التربية الجسمية، وتدريب حواسه وتعليمه اللغة والحساب.....إلخ، كما تساعده على تحقيق الأهداف.

ومن الوسائل التي اعتمدتها "مونتسوري" في تربية الطفل وتعليمه:[٧٢]

أ - وسائل تربية الجسم والعضلات، مثل: الألعاب الرياضية، المراجيح، لبس الحذاء وربطه، زراعة النباتات، وغير ذلك.

ب - وسائل تربية الحواس، مثل:

١- صندوق الاسطوانات الذي يهدف لتدريب حاسة النظر والتمييز بين الأطوال والأحجام والملمس.

٢- المكعبات العشرة ذات الأضلاع المتدرجة الطول، لتدريب حاسة النظر والتمييز بين الأشياء.

٣- طرق التدريب على اللبس والخلع والربط والحل.

٤- البندول، ويهدف لتقوية الأذرع والأجسام وظهور الأطفال.

٥. الأشكال الهندسية، والهدف منها تقوية عضلات الطفل وسمعه ونطره.

٦. الأوراق الملونة وقطع النسيج الملونة لترتيبها ومماثلتها.

٧. الوسائل مختلفة الملمس للتمييز بين الناعم والخشن.

٨ ألعاب مختلفة كأنشطة حرة.

٩. الرحلات التي تعمل على إكساب الطفل خبرات ومعارف متنوعة.

ج - وسائل تعلم اللغة، ومن بينها: الأوراق، الأقلام، الحروف المكتوبة، النطق والتمييز بين الحروف والكلمات.

د - وسائل تعليم الحساب، مثل: عد النقود، والحبوب، وحبات الخرز.

أهداف منهج "مونتسوري":

وضعت "مونتسوري" مجموعة من الأهداف استطاعت تحقيقها من خلال منهجها في تعليم الأطفال، تتمثل أهم هذه الأهداف فيما يلي:[٧٣]

دراسة الطفل: توجد فروق فردية بين الأطفال في الصحة والذكاء والميول، وغير ذلك، تتضح من خلال دراسة المعلمة للطفل، لذلك وضعت "مونتسوري" بطاقة جسدية نفسية لكل طفل تسجل فيها ملاحظاتها حول الوظائف الفسيولوجية الأساسية، كالغذاء، وصحة الطفل، ومدى استعداده لالتقاط الأمراض، إضافة لمراقبة نمو الحياة الفكرية للطفل.

احترام حرية الطفل: يتجلى هذا الهدف في تزويد القاعات بمقاعد صغيرة يجلس عليها الأطفال، وخزائن لوضع اللعب، وتزيين الجدران بالصور واللوحات، وأماكن للاغتسال، وكذلك تزويد المدرسة والروضة بحديقة للأزهار، وأخرى للحيوانات الأليفة، فيتنقل الطفل بين هذا وذاك بنظام مفروض عليه من نفسه بفضل اهتمامه بما يفعله ومحبته له.

تمكين الطفل من اللعب: ويتم ذلك بإثراء الأنشطة واللعب الحر باستخدام الأدوات التعليمية التي تسمح بالحل والتركيب، وفي ذلك إشباع لميول الطفل من

ناحية، وممارسة العمل من ناحية أخرى، واكتساب مهارات وخبرات معرفية ومعلومات من ناحية ثالثة.

(٤) تنمية الحواس: الحواس هي مصادر المعرفة للطفل، بها يطل على العالم الخارجي، وتدريبها يتداخل مع جوانب النمو المختلفة، ويحقق قدراً كبيراً من التلاؤم مع الواقع، لذلك استخدمت "مونتسوري" بعض الأدوات لتدريب حاسة البصر وحاسة اللمس، بهدف تدريب الحاسة على التعرف على الأشياء المتماثلة أو المتضادة و التمييز بين المتشابهات، وكذلك تنمية القدرة على الرؤية والشعور والتمييز بين الألوان والأشياء من حيث الحجم والصوت واللون والملمس.(٧٤)

(٥) التربية اللغوية: لكي ينمو الطفل لغويا لا بد من أن يتعلم معاني الرموز التي يسمعها، ويسيطر على المهارات اللغوية الأساسية: (الاستماع، والتحدث، والقراءة، والكتابة)، ويتم ذلك بتوفير بيئة غنية بالخبرات الحسية مع وجود العلاقات الإنسانية الاجتماعية.

(٦) التربية الخُلُقية: حسب "مونتسوري" فإن التربية الخُلُقية تعني احترام الطفل لحقوق الآخرين وعدم الإساءة إليهم أو الإساءة إلى نفسه، لذلك نادت "مونتسوري" باتباع الأساليب التالية في تربية الطفل خلقياً:

أ- ترك الحرية للطفل لاختيار العمل ومجموعة اللعب من طريق الألعاب التعليمية التي ابتدعتها "مونتسوري"، والتي تساعد على الإبداع والابتكار.

ب- إلغاء الثواب والعقاب وتشجيع الطفل على العمل بنفسه ليشعر بالنجاح، وذلك لكي تنمو حواسه ووجدانه وعقله وجسمه وخلقه وشخصيته.

ج- اعتبار دور المعلمة أساس في إكساب الطفل العادات الطيبة وتقويم السلوك الخاطئ للطفل.

أ - ترك الحرية للطفل في تحريك مقعده، وذلك بتوفير السهولة في الحركة، والجلوس على الأرض بالكيفية التي تحلو له.

ب - تشجيع التمرينات الرياضية والأعمال اليدوية وأعمال الحياة اليومية.

و - تشجيع دروس الصمت والاستماع لبعض الأصوات مع مراقبة الحركات وضبطها.

ز - تشجيع التوازن والانتباه، بتعليم الطفل السير من أول القاعة إلى آخرها حاملا في يده كوبا من الماء.

(٧) التربية الحركية: وتتم من خلال الألعاب التي تكسب الطفل المهارات اليدوية وتنمي عضلاته.

(٨) تنمية الطفل بشكل متكامل: ترى "مونتسوري" أن تحقيق الأهداف السابقة لا ينفصل عن تحقيق تنمية الطفل بشكل متكامل.

(٩) تنظيم الطفل ذاته: يمكن للطفل أن ينظم ذاته إذا ما اتبعت المعلمة أساليب تنظيمية تنطلق فيها من ممارسة اللعب الحر، و تحمل المسؤولية.

وهكذا نجد أن "ماريا مونتسوري" اسم لمع في مجال تربية الطفل، واقترن بالحركة العلمية الحديثة، حيث أحدثت تغييرا شاملا، فهي مربية أفنت عمرها من أجل جعل تربية الطفل تربية مثمرة خاصة الأطفال المحرومين.

جون ديوي
J. Dewey (1952-1859)

حياته:

ولد "جون ديوي" في مدينة (برلنجتون) في ولاية (فرمونت) بالولايات المتحدة الأمريكية، من أسرة ميسورة الحال، التحق بجامعة (فرمونت) ودرس اللغة اللاتينية واليونانية، والهندسة التحليلية، والتاريخ والفلسفة، لكنه تخصص في فلسفة التربية الإغريقية، ونال درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة (جون هوبكنز)، ثم عمل في مجال التدريس بجامعة منسوتا، وجامعة ميتشجان، وجامعة شيكاغو، وقد أنشأ مدرسة للتطبيقات - تحت رعاية جامعة شيكاغو - ليقوم فيها بإجراء تجاربه ويختبر عمليا أفكاره التربوية.[٨] وقد برز في الحياة السياسية والاجتماعية من خلال رحلاته المختلفة إلى الخارج لتقديم المحاضرات وبعض المهام التربوية الأخرى.[٩]

توفي "ديوي" عام ١٩٥٢م تاركا وراءه إرثا ثمينا من الكتب والمؤلفات حوت نظرياته وخبراته التربوية، مثل: الطفل والمنهج، علم النفس والمنهج الفلسفي، الأخلاق، مدراس الغد، التجديد في الفلسفة، الطبيعة البشرية والسلوك، التربية في العصر الحاضر، الديمقراطية والتربية، المدرسة والطفل، المدرسة والمجتمع، إلى جانب العديد من المقالات والبحوث في علم النفس، والفلسفة، والأخلاق، والمنطق، والاجتماع، والسياسة، والفن.[١٠]

"جون ديوي" والحركة التقدمية:

يُبنى الاتجاه التقدمي في التربية عند "ديوي" على الاعتقاد بأن العالم دائما في حالة تغير وتطور، وأن الإنسان كائن بيولوجي واجتماعي يستخدم ذكاءه في التكيف مع البيئة الدائمة التغير، كما يعمل على تطويرها، والتربية عنده هي العملية التي ينمي بها الإنسان ذكاءه الفردي والاجتماعي عن طريق إعادة تنظيم خبراته،

ينظر "ديوي" إلى التربية على أنها عملية تجديد بناء الخبرة - خبرة الفرد، وخبرة المجتمع، وهذه النظرة تتماشى مع نظرية النمو الطبيعي والاجتماعي، فالتربية ما هي إلا سلسلة من الخبرات تؤدي كل خبرة إلى الخبرة التي تليها، فتتسع اتصالات الفرد وارتباطه بمحيطه، وتنمو ثروة المعاني عنده، مما يمكنه من السيطرة على توجيه الأمور والتكيف مع بيئته.

انتقد "ديوي" التربية التقليدية لأنها غالبا ما تقوم على الطاعة والانقياد والتلقي من قبل الطفل، فلا تسمح له باستخدام قدراته في القيام بخبرات نافعة تتصل بحياته اليومية، ذلك أن التربية التقليدية تعطي الطفل منهجا دراسيا يعده الراشدون ليحفظه دون اعتراض، كما أن أساليب التربية والأخلاق مقررة وثابتة منذ قديم الزمان، لم تتطور ولم تتغير، كذلك الأنظمة المدرسية التقليدية الصارمة، والكيفية التي تعد وتعقد بها الامتحانات تحدد علاقة التلميذ بالمعلم، وعلاقة المعلم برؤسائه، هذا الجو يُفقد الطفل الرغبة في الدراسة، ويدفعه إلى الملل والضجر وعدم المبالاة والهروب من المدرسة في نهاية الأمر، بخلاف التربية الحديثة التي يدعو لها "ديوي" والتي تؤكد خبرات الطفل المتصلة بحياته اليومية وبميوله واحتياجاته، فالمنهج المدرسي - وفقا للتربية الحديثة - يجب أن يتسع ليشمل خبرات المحيط الذي يعيش فيه الطفل، كما يجب أن تتسم الطريقة بالتعاون بين الأطفال بعضهم بعضا، وبينهم ومدرسيهم، بدلا من السيطرة التي يمارسها المعلم في التربية التقليدية، فالطفل في التربية الحديثة يُسمح له بالمشاركة في اختيار مواد الدراسة وإقرار أساليب التنفيذ، وهذا الأمر يجعل مهمة المعلم أصعب منها في التربية التقليدية، حيث يجب أن يشترك المعلم مع التلاميذ في القيام بمشروعات تنفعهم في حياتهم وتتسم بالديمقراطية، وتتحقق فيها الروح الإنسانية للأطفال كأفراد لهم شخصياتهم ولهم آراؤهم وحقوقهم.

وانطلاقا من هذه النظرة وضع "ديوي" معيارين أساسيين لاختيار الخبرات التربوية التي تقدم للأطفال:[١٢]

الأول: معيار الاستمرار: ويعني أن تكون الخبرات المقدمة للطفل من النوع الذي يؤدي إلى خبرات أخرى جديدة، فالخبرة المربية هي التي تكون عاملا من عوامل النمو في الطفل في كل النواحي، وهي التي تدفع بالطفل إلى العمل والمبادأة والخلق والإبداع.

الثاني: معيار التفاعل: ويقصد به التفاعل بين ما في داخل الفرد وبين الظروف الموضوعية التي يعيش فيها، أي التفاعل بين الداخل والخارج، وهو من طبيعة الخبرة، فينبغي أن يراعى في الخبرات المقدمة للأطفال مواءمتها لرغباتهم وميولهم وحاجاتهم.

ملامح الفكر التربوي عند جون ديوي:

أكد "ديوي" اتجاهات عديدة في التربية شكلت نسقا متكاملا بما يمكن تسميته بنظرية الفلسفة التربوية، التي عرفت باسم (الفلسفة البرجماتية)، وفيما يلي عرض لأهم ملامح هذه النظرية:

١- التربية ظاهرة طبيعية في الجنس البشري، تتم باستمرار، وبطريقة لا شعورية بحكم وجود الفرد في المجتمع، كما أنها ليست مجرد إعداد للحياة المستقبلية، بل هي الحياة ذاتها، وهذا يعني بالضرورة أن تكون حياة المدرسة حياة حقيقة تشابه حياة الطفل في البيت أو البيئة التي يعيش فيها، ليتم فيها الحصول على الخبرة مباشرة.

٢- التربية في نظر "ديوي" نفسية واجتماعية معا، نفسية تعتمد على فهم نفسية الطفل واستعداده، واجتماعية من كونها تهيئ الطفل ليكون عضوا صالحا في المجتمع الذي يعيش فيه.

٣- هدف التربية عند "ديوي" هو إكساب الفرد مهارات واتجاهات تتناسب مع المجتمع الذي يعيش فيه، ومساعدته في الاستمرار على التعلم والنمو، وفي تربية ذاته بما يجعله يتكيف مع بيئته.

٤. أكد "ديوي" على أهمية المدرسة بوصفها مؤسسة اجتماعية تعكس روح المجتمع، يتم التدريب فيها عن طريق الخبرة المباشرة على التفكير المتطور وشعور الفرد بمسؤوليته، وفي ذات الوقت هي وسيلة لتجديد التراث، حيث لا تقتصر مهمتها على نقله فقط من جيل إلى جيل.

٥. عارض "ديوي" النظم التقليدية في التربية التي تجعل المتعلم مجرد آلة يستقبل ما يقدم إليه ويحفظه دون القيام بأي نشاط من قبله، لذلك دعا "ديوي" إلى طريقة (المشروع) التي تستخدم إستراتيجية حل المشكلات، والتي يظهر فيها النشاط البدني والعقلي والاجتماعي للمتعلم، وتساعده على التعلم الذاتي.

٦. أكد "ديوي" أهمية جعل الطفل مركز العملية التربوية، بجعل المناهج وطرق التدريس تدور حوله.

٧. أكد "ديوي" ضرورة أن يتعاون في وضع المنهج كل من له اهتمام بالمناهج الدراسية، بما فيهم المتعلمون أنفسهم.

٨. أكد "ديوي" على أهمية القيم الأخلاقية، على أن تنبع من حياة المجتمع نفسه، فيكتسبها الطفل نتيجة تفاعله مع البيئة.

٩. شدد "ديوي" على أهمية ربط المدرسة بالمجتمع، فالتربية تقوم على مبدأ التفاعل بين المتعلم والبيئة المحيطة به والمجتمع الذي يعيش فيه، لذلك فهو يرى أن الطفل يحتاج لتنمية مهاراته الفكرية والعملية ليقوم بحل المشكلات التي يواجهها بشكل راشد وبأسس علمية، وأن العلوم النظرية بتشعباتها الكثيرة لا تخدم المتعلم في تصريف شؤون حياته.(١٤)

١٠. رأى "ديوي" أن محتويات المنهج ليست بمستوى أهمية الطريقة التي تقدم بها، فدعا المعلم إلى عدم التقيد بطريقة معينة، بل يجب عليه اختيار الطريقة المناسبة للدرس، ولخصائص التلاميذ.

١١. رأى "ديوي" أن يكون المنهج مرنا، هادفا، قابلا للتغيير، يقدم للطفل عددا من البدائل لحل المشكلات التي تعترض حياته.

١٢. أكد "ديوي" على أهمية الديمقراطية كمفهوم اجتماعي سياسي، وكإطار للعملية التربوية، فنشأة الطفل في بيئة ديمقراطية تتيح له الحرية وفرص التجربة العملية، كما تتيح فرص التعليم حسب استعدادات الطفل ومواهبه.

١٣. رأى "ديوي" ضرورة الاهتمام بالطفل في المدرسة على أنه الغاية من التربية، وهو وحدة متكاملة لا تنفصل في كل جوانبها الجسمية والعقلية والروحية.

هذا وقد لاقت معظم آراء "ديوي" في التربية انتقادات شديدة تتهمها بمبالغتها في الحرية وإهمال القيم الروحية، ولكن رغم ذلك فقد تأثر به عدد من مفكري التربية على المستويين العالمي والعربي، وما زالت هذه الأفكار تجد صدى في الأوساط التربوية.

ليف فيجوتسكي
Vygotsky
(1934-1896)

حياته:

هو عالم نفس سوفيتي يهودي ، ولد في ١٧ تشرين الثاني عام ١٨٩٦م، في أورشا بالإمبراطورية الروسية، تعرضت عائلته للاضطهاد الذي كان سائدا في أوروبا في تلك الفترة، لكن عائلته أصرت على المثابرة، واستطاعت أن توفر التعليم لأطفالها عامة، و "فيجوتسكي" بصفة خاصة، فتخرج من كلية الحقوق، وحصل على شهادة القانون من جامعة موسكو عام ١٩١٧م، وشملت دراسته الفلسفة وعلم النفس، والأدب، ودرس التاريخ، واللسانيات، وعمل بالتدريس في مختلف المؤسسات التعليمية، كما عمل بمعهد علم النفس بموسكو، واهتم بدراسة العوامل الاجتماعية والثقافية في صناعة الوعي الإنساني، ومن هنا تشكلت آراؤه في تربية الطفل، حيث يرى أن المجتمع ذو تأثير بالغ في عملية النمو، فاسس نظرية عرفت باسم (النظرية الاجتماعية التاريخية) تلك النظرية التي تنادي بأن القوى الاجتماعية التاريخية تشكل القدرة العقلية، فنحن نتاج أزماننا، وأن اللغة هي أداة أولية لنقل قيم المجتمع.

تأثر "فيجوتسكي" ببافلوف ومال إلى السلوكية، وبعد قيام الثورة البلشفية دخل عالم السياسة والفكر، فحظرت أعماله لأسباب سياسية.

توفي "فيجوتسكي" بموسكو عام ١٩٣٤م، وهو يعاني من مرض السل،[١٥] وقد ترك أعماله التي طفت إلى السطح مرة أخرى عام ١٩٥٠م، وشكلت أساسا للنظرية البنائية.

نظرية "فيجوتسكي":

يرى "فيجوتسكي" أن أساس تعلم اللغة يعود إلى التفاعل الاجتماعي، وهذا لا يتعارض مع آراء السلوكيين الذين يعتبرون اللغة جزءا من السلوك الإنساني،

وحيث إن "فيجوتسكي" تلميذ لبافلوف - رائد المدرسة السلوكية التقليدية ومنشئها في روسيا - فقد حاول جمع هذه الأفكار والدمج بينها لتشكيل نظريته في التفاعل الاجتماعي.(١٦)

يرى "فيجوتسكي" أن عملية تكوين المفاهيم عند الأطفال تمر بسبع مراحل، هي:(١٧)

المرحلة الأولى: مرحلة الأكوام: ويميل فيها الطفل إلى تجميع الأشياء في مجموعات عشوائية، ثم يستكشفها ويتعرف على صفاتها المميزة، ويفهم أوجه الشبه بين الأشياء والعلاقة بينها بالتدريج.

المرحلة الثانية: مرحلة العقد الترابطية: في هذه المرحلة يبدأ الطفل التحكم في عملية التجميع، ويصنف الأشياء على أسس أكثر موضوعية، إذ يجمع الأشياء ذات الصفات المشتركة، على أن يكون أحد هذه الأشياء نواة لهذا التجميع، ثم تضاف له الأشياء الأخرى، ولكنه في هذه المرحلة قد ينخدع بمظهر الأشياء، ظنا منه أنها تنتمي لمجموعة واحدة، فقد يأكل قطعة من الصلصال على أنها تنتمي لفئة الحلوى.

المرحلة الثالثة: مرحلة تكوين المجموعات المتكاملة: وفيها يجمع الطفل الأشياء مع بعضها، لا على أساس وجود شبه بينها، بل على أساس انتمائها لنفس الفئة، وأنها تؤدي نفس الوظيفة، كأن يجمع الأطباق والأكواب والملاعق والسكاكين.

المرحلة الرابعة: مرحلة العقد المتسلسلة: وهنا يبدأ الطفل التصنيف على أساس صفة معينة، ثم ينتبه إلى صفة أخرى فينتقل إلى التصنيف على أساسها، كأن يجمع الأشياء على أساس الشكل، ثم يجمعها على أساس اللون... وهكذا. وفي هذه المرحلة يبدأ تكوين المفاهيم، إذ يتعلم الطفل أن الشيء الواحد قد تكون له أكثر من صفة، وأن كل صفة يمكن أن تكون أساسا للتصنيف.

المرحلة الخامسة: مرحلة العقد الانتشارية: تمتاز هذه المرحلة بمرونة الترابطات. ويتعلم الطفل تكوين مجموعات انتشارية، فيبدأ التفكير في صفات الأشياء ويربط بينها وبين بعضها، فقد يضيف المربع إلى مجموعة المثلثات، لأنه يرى أن المربع عبارة عن مثلثين يشتركان في قاعدة.

المرحلة السادسة: مرحلة أشباه المفاهيم: يقوم الطفل في هذه المرحلة بتجميع الأشكال المناسبة مع بعضها، لكنه قد لا يقدر على تحديد الأساس الذي تم التجميع بناء عليه، فقد يكتشف أن هذه الأشياء تتفق في بعض الصفات ولكنها لا تنتمي لنفس النوع، و في نهاية هذه المرحلة يقترب الطفل من تكوين المفاهيم الحقيقية.

المرحلة السابعة: مرحلة تكوين المفاهيم: وفيها تتكون المفاهيم نتيجة لعمل المراحل السابقة، يتعلم الطفل أن كل شيء له صفات تجمع بينه وبين أشياء أخرى قد تكون مختلفة عنه.

هذا ويعتقد "فيجوتسكي" أن الأقران عامل مهم وأساس لتطوير الفرد، وتؤكد كتاباته في هذا الصدد دور العوامل التاريخية والثقافية والاجتماعية في المعرفة، كما تؤكد أن اللغة أهم أداة رمزية وضعها المجتمع، لذلك فقد ركز في نظريته على ثلاثة موضوعات:[١٨]

١) أهمية الثقافة.

٢) الدور الرئيس للغة.

٣) ما سماه "فيجوتسكي" (منطقة النمو والتطور)، أي أن هناك فترة زمنية محددة لتطوير المعرفة لدى الفرد، والتطور التام خلال هذه الفترة يعتمد على التفاعل التام خلالها، بمعنى أن التطور الذي تبلغه مهارات الطفل من خلال إرشاد البالغين أو بالتعاون مع أقرانهم يزداد أكثر مما لو كان وحده، ويمكن تحديد العناصر الأساسية لنظرية "فيجوتسكي" بما يلي:[١٩]

أ. أهمية التأثير الاجتماعي في النمو.

ب. الطفل منظم نشط لمعارفه، يستخدم نظام الإشارات في تفاعل مستمر مع عالمه الاجتماعي.

ج. التفكير البشري لا يستقيم بدون النظام الكلامي والإشارات الأخرى.

د. يمكن للطفل أن ينمي بعض المفاهيم بمفرده، إلا أنه غير قادر على تنمية نماذج من التفكير المجرد.

هـ. النمو المعرفي عند "فيجوتسكي" هو عملية اجتماعية تعتمد على دعم الكبار والأقران الأكثر نضجا للطفل، كما أن للمحادثات والأنشطة التعاونية للطفل مع الآخرين دور في تنمية طرق التفكير.

ويرى "فيجوتسكي" أن النمو المعرفي للطفل يتأثر بجانبين، هما:

- الجانب المادي البيولوجي (الموروث).
- الجانب البيئي (المكتسب).

لذلك نجد أن نظرية "فيجوتسكي" قد أكدت على عدة نقاط، أهمها:

١) توسيع مدارك المربين في الكيفية التي يتعلم بها المتعلم، ودمج الثقافة الاجتماعية في التعليم المدرسي.

٢) نقلت بؤرة الاهتمام إلى الخبرة الاجتماعية للمتعلم بدلا من التراث والمادة والمعلم.

٣) ركزت على اللغة ومدى أهميتها في نقل الخبرة الاجتماعية للأفراد، فهي وسيلة الاتصال والتواصل.

٤) أكدت أن التعليم يتم في ضوء سياق اجتماعي يتطلب درجة من المهنية، وفي هذا تأكيد لدور المجتمع، فلا تعلم بدون مجتمع.

٥) ركزت على تنمية المنطقة المركزية، وهي الفرق بين التعلم الذي يكتسبه المتعلم بمفرده، ومستوى التعلم الذي يكتسبه المتعلم تحت توجيه وإرشاد المعلم.

آراء فيجوتسكي في تربية الطفل:[٢٠]

١) إن التفاعل الاجتماعي هو الأسلوب الذي تُنقل به القيم والعادات والاعتقادات الثقافية في المجتمع من جيل إلى جيل، والمقصود بالتفاعل الاجتماعي (المحاورة بين الأطفال والراشدين).

٢) التفاعل الاجتماعي هو الطريقة التي ينمو من خلالها التفكير المتطور على نحو متزايد كجزء من تعلم الثقافة.

٣) يكتسب الأطفال المهارات والمعرفة عن طريق خبرات المشاركة مع الرفاق الأكبر سنا والراشدين، والمحاورة المصاحبة لهذه الخبرات تصبح جزءا من تفكير الأطفال.

٤) إن التطور المعرفي للأطفال يعتمد على الوسط الاجتماعي وليس مستقلا عنه.

٥) الألعاب التي يمارسها الراشدون مع الأطفال تشجع الأطفال على المشاركة على نحو متزايد، فكثير من المهارات الحركية يتقنها الأطفال بمساعدة الراشدين، مثل: المشي، الوقوف....إلخ.

ريجيو إميليا

مقدمة :

ريجيو إميليا هي مجموعة مدارس للأطفال الصغار يتم فيها استثمار إمكاناتهم العقلية والانفعالية والاجتماعية والخلقية وترشيدها والوسيلة التربوية التي استخدمت لتحقيق ذلك هي مشاركة الصغار أنفسهم. انطلاقا من رؤيتها للطفل، الذي تنظر إليه على أنه مليء بالطاقات والقدرات، ويتميز بالمرونة، وحب الاستطلاع، والرغبة في التفاعل، والارتباط، والانتماء للآخرين. بانهماكهم واستغراقهم في مشاريع طويلة الأجل، تجري في مواقف صحية مفعمة بمشاعر الحب والألفة والتعاون.

بدأت فكرة هذه المدارس عقب الحرب العالمية الثانية، حيث قام سكان "فيلا سيلا" - وهو أحد أحياء مدينة "ريجيو إميليا" الصناعية التي تقع شمال إيطاليا - ببناء مدرسة باستخدام حجارة المباني التي قصفتها قنابل الحرب، وبأموال جمعت من بيع دبابة وشاحنة وبعض الخيول التي خلفتها الحرب وأطلقوا على تلك المدرسة اسم (٢٥ أبريل) تيمنا باليوم الذي قامت فيه قوات الحلفاء بتحرير إيطاليا من النظام الفاشي.

شارك في بناء المدرسة كل سكان البلدة من الرجال والنساء، كما قاموا بالاشتراك في تعليم الصغار في البلدة في جو من التعاون الأسري الذي يعد سابقة في تاريخ التعليم، ونجحت المدرسة أيما نجاح، فطبقت تجربتها على عشرين مدرسة في "ريجيو إميليا"، مما حدا بالولايات المتحدة الأمريكية الاتجاه نحو "ريجيو إميليا" لنقل تجربتها الفريدة في تعليم الصغار، حيث أصبح منهجها علامة تربوية مميزة لمرحلة ما قبل المدرسة. وقد انتقلت تجربة "ريجيو إميليا" التي تقوم فلسفتها على التعاون والابتكار في حل المشكلات التربوية لكثير من دول العالم بعد ذلك.

يهتم التربويون في "ريجيو إميليا" بالبيئة المدرسية ومحيطها، بجعلها مكانا يليق بتعليم الأطفال، يستطيعون التحرك فيها، والتعلم من خلالها، فهي بمثابة معلمة ثالثة إلى جانب معلمتين في كل صف دراسي. ففي هذه البيئة يتأمل الأطفال جمال الطبيعة فيتعلمون كيفية المحافظة عليها، مما ينعكس على المحافظة على مرافق البنية المدرسية، كما يكتسبون مهارات الاكتشاف، وحل المشكلات من خلال التعاون والمحادثات الممزوجة بالمرح واللعب ضمن مجموعات صغيرة، ويمارسون ألوانا مختلفة من النشاط، مثل: الرسم والتلوين، وأشكال الفنون من موسيقى، وتمثيل، وفن تحريك الدمى وخيال الظل، والزراعة. والتعلم فيها قائم على التشجيع الدائم على عرض الأفكار بحرية، وبدون ممارسة أي ضغوط عليهم، وتكفل لهم المدرسة حق المناقشة والاعتراض - في ظل احترام الآخرين - والتعاون في حل مشاكلهم بأنفسهم في إطار المجموعة.

وفي مدارس "ريجيو إميليا" يعمل الأطفال والمعلمات وأولياء الأمور وكل العاملين في المدرسة مع بعضهم بعضا من أجل بناء رأي عام موحد، كما أن برامجها تهتم بالأسرة وتدعو إلى تنمية علاقات الأطفال بأفراد الأسرة والمعلمات والمجتمع ولا يتم التركيز في اختيار المعلمة على ما تحمل من مؤهلات علمية فقط، بل المحك الأساسي والمعيار الرئيس في اختيارها هو ما لديها من تجارب وخبرات عن عالم الطفولة وكيفية التعامل مع الأطفال والتضامن مع الوالدين في التفاعل مع عالم الطفولة.[٢١]

منهج "ريجيو اميليا":

يعد منهج "ريجيو إميليا" أحد نظم المناهج التي توفر فرص النمو للأطفال - من الميلاد وحتى عمر السادسة - حيث يعمل على زيادة النمو العقلي، ويعتمد على بناء بيئة تعليمية تعمل على تشجيع الأطفال على التعبير عن أنفسهم، واختيار موضوعات التعلم التي تقدم في صورة مثيرات (رمزيات) متعددة، مثل الكلمات، والحركات، والرسم، والموسيقى، والألعاب المختلفة.

ويعتبر إشراك الآباء في عمليات التخطيط ووضع سياسة المدرسة والتقويم من خلال الاجتماعات الدورية ركيزة أساسية في منهج "ريجيو إميليا"، ويتم تقويم أعمال الأطفال بإعداد ملف خاص لكل طفل يوضح أساليب التعلم، والأنشطة التي قام بها الطفل، كما يحوي ملاحظات المعلمة حول مدى تقدم الطفل، وما يحتاجه من دعم في بعض المهارات، ويتكون المنهج من ثلاثة عناصر رئيسة، هي:

١. الخصائص المنظمة لبيئة الفصل الدراسي.
٢. التفسير الشامل لدور المعلم فيما يتصل بالأطفال والآباء والمعلمين الآخرين.
٣. الخطوط المحددة لتنمية استخدام اللغات الرمزية بين الأطفال مع مراعاة الفروق الفردية.

أسس منهج "ريجيو اميليا":[٢٢]

١. البيئة التعليمية:

يتم تصميم البيئة التعليمية في منهج "ريجيو إميليا" بحيث تساعد على راحة الأطفال، وتزيد من قدرتهم على الاستيعاب، وتتكون البيئة التعليمية - سواء داخل قاعات الدرس أو خارجها - من فضاء واسع يتيح رؤية ما يحيط به، يعمل على إشباع حاجاتهم للاستكشاف، ويدعم مبدأ التعاون، والإبداع، ويتم البناء واختيار الأثاث والمواد المستخدمة في التعليم والخامات بشكل يزيد من حجم المواجهة بين الأطفال والواقع.

٢. اللغات الرمزية:

إن اللغات الرمزية هي رموز وإشارات يعبر الأطفال عن طريقها عن آرائهم وأفكارهم، وتساعدهم على فهم المعلومات التي يستكشفونها، كما تعد وسيلة يصوغ بها المعلمون موضوعات التعلم، والأطفال وهم يعبرون عن أفكارهم ومشاعرهم من خلال الرسم، والنحت، والحركة، والموسيقى، وغيرها من الوسائل، يستخدمون هذه اللغات الرمزية.

٣. دور المعلم:

يعد المعلم إعدادا جيدا ليقوم بدوره بكفاءة عالية، ويتيح له الإعداد الجيد فرصة الاستقلالية في العمل مع الأطفال، فالمعلمون لا يعملون فقط على حماية الأطفال، وتعليمهم المهارات الأساسية، بل هم متعلمون وباحثون أيضا. وهذا يمكنهم من إنجاز الأهداف المنشودة.

فلسفة منهج ريجيو إميليا:

يعتمد المنهج في مدارس ريجيو إميليا على الأمور التالية:[٢٣]

أ) تركيز التعليم على الطفل، وعلاقته بالأطفال الآخرين، والأسرة والمعلمين وكل مجتمع المدرسة.

ب) أن تشبه بيئة المدرسة بيئة المنزل، فيتم تهيئتها بحيث تجعل التلاميذ يتفاعلون مع زملائهم والمعلمين بسهولة، كما تسمح لهم بالعمل الفردي إذا رغبوا ذلك.

ج) لا يعد المنهج مسبقا، وإنما يسمح للأطفال بأن يسيروا في التعلم وفق قدراتهم الخاصة.

د) يعتمد المنهج نظام الحلقة مع الأطفال، في دورة مدتها ثلاث سنوات تسمى (الدورة المدرسية) تسمح بمعرفة أساليب تعلم الأطفال، وبناء علاقات متينة بينهم.

هـ) مشاركة الآباء في عملية التعليم بالبحث عن إجابات لأسئلة الأطفال، والمساهمة في حلول المشكلات التي تواجههم أثناء عملية التعلم.

أهم مبادئ ريجيو إميليا التربوية:

كل الأطفال لديهم الاستعداد وحب الاستطلاع للمعرفة، ويهتمون بعلاقاتهم بالآخرين، لذلك يجب النظر إليهم على أنهم مواطنون لهم حقوق المواطنة، ومساهمون في أسرهم ومجتمعاتهم.

٢) الأطفال ذوي القدرات الخاصة لهم الحق في أن يكونوا جزءا من مراكز الحضانة أو التمهيدى.

٣) ضروره التركيز على أن يتم تعليم الطفل في ظل التفاعل مع المعلمة والأطفال الآخرين.

٤) الوالدان مكونان أساسيان في برنامج التعليم، لهم الحق في مشاركة أطفالهم التجربة التعليمية.

٥) المعلمون والأطفال شركاء في التعلم، فلا تنحصر مهمة المعلمين في حماية الطفل وتعليمه المهارات الأساسية، بل هم متعلمون أيضا، وباحثون عن الخبرات والأفكار التي تدعم عملهم.

٦) المدرسة والمنهج نتاج التفاعلات بين الأطفال والأسر والمعلمات.

٧) لا توجد مناهج معدة مسبقا، فعلى المعلمين إعداد بيئة غنية بالمواد والمصادر، ومراقبة الأطفال في كيفية الاستفادة من هذه المواد والمصادر.

٨) ضرورة إشراك المتعلمين في مشاريع وتجارب عملية، إيمانا بأن التعلم بالعمل يؤدي إلى فهم أفضل، وتعلم أجود.

مقدمة:

تواصل عطاء المربين والمفكرين المسلمين منذ عصر الإسلام والى وقتنا الحاضر، فهم يتصلون دوما بقضايا مجتمعاتهم وهموم أمتهم، ومن أبرز القضايا التي أولوها اهتماما كبيرا، وعناية بالغة مرحلة الطفولة، حيث كانت لهم إسهاماتهم الجليلة في هذا الميدان، إيمانا منهم بأن هذه الشريحة ينعقد عليها مستقبل الأمة، وشرف نهضتها، وقد سجل التاريخ أسماء الكثيرين من هؤلاء المفكرين والمربين المسلمين بمداد من ذهب، وما زالت أعمالهم وأفكارهم التربوية التي استندت على مصادر الإسلام بين أيدينا، وما زالت تتلاءم مع تطورات العصر ومتطلباته.

ومن أبرز هؤلاء المفكرين: القاضي بدر الدين ابن جماعة، ابن تيمية، أبو حامد الغزالي، ابن سحنون، وابن عبدالبر القرطبي، وقد رأت الكاتبة أنه من المفيد دراسة فكر بعض هؤلاء العلماء والمفكرين، خاصة وأن هناك دعوة من بعض القائمين على شؤون التربية للعودة للمبادئ والقيم الإسلامية في هذا العصر المليء بالتناقضات التي قد تؤثر على التربية وأهدافها.[1]

أولا: أبو حامد الغزالي

مولده ونشأته:

هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، ولد في طوس، من أعمال خراسان بفارس سنة ٤٥٠هـ (١٠٥٩م)، قيل إن أباه كان يغزل الصوف، ومن هنا جاءت تسميته بالغزالي.[2] وقيل نسبة إلى غزالة، وهي بلد ينسب إليها،[3] وقد عرف بحجة الإسلام لذوده عن حياض العقيدة الإسلامية بفكره وقلمه.[4] كان والده فقيرا، لكنه كان رجلا صالحا محبا لمجالس الفقهاء والمتصوفة، لما حضرته الوفاة أوصي به وبأخيه إلى صديقه المتصوف "محمد بن الرازكاني" الذي اهتم بالولدين علما وخُلقا.[5]

قضى الغزالي فترة من الزمن في مدرسة "طوس"، درس فيها الفقه على يد (أحمد بن محمد الطوسي)، ثم هاجر إلى "جرجان" ليتتلمذ على يد عالمها (أبي نصر الإسماعيلي)، وظل معه ثلاث سنوات، ثم عاد إلى "طوس" مرة أخرى وانقطع إلى العلم ثلاث سنوات أخرى، فحفظ كل ما درس، واستوعب جميع ما تلقى من كتب الدين والفقه وآراء أصحاب المذاهب، ثم طلب المزيد، فرحل إلى "نيسابور" مدينة العلم والعلماء، وفيها أخذ التوحيد والأصول والمنطق على إمام الحرمين (أبي المعالي الجويني) شيخ المدرسة النظامية وإمام الشافعية، الذي ترك أثرا كبيرا في الغزالي، لاسيما في تطوره الروحي، وانتقل الغزالي على يديه من مرحلة الحفظ إلى مرحلة التأمل والتفكير والمناقشة.(٦)

وعرف الغزالي بالذكاء وسعة الأخلاق، واشتهر بحضور البديهة والقدرة على الحوار والمناظرة، فأعجب به (الجويني) وصار يفاخر به العلماء. وعندما توفي أستاذه (الجويني) سنة (٤٧٧هـ) ترك الغزالي "نيسابور" وسافر إلى بغداد، وانضم لمجالس العلماء فيها، وتقرب من مقام الوزير (نظام الملك) مؤسس المدارس النظامية، الذي عينه مدرسا بها عام (٤٨٤هـ)، فنجح الغزالي في موقعه الجديد تدريسا ووعظا وتأليفا، فذاع صيته وغدت حلقات درسه ملتقى العلماء والأمراء.(٧)

وبعد أربع سنوات شعر الغزالي برغبة جامحة في الحياة الصوفية، فهجر التدريس، والمنزل والأهل والولد، وترك المال وقصد بيت الله الحرام، وبعد قضاء الحج توجَّه إلى الشام، واعتكف في زاوية بالمسجد الجامع في دمشق، حيث اشتغل بتأليف كتبه وترويض نفسه، وعاش في هذه الفترة متنقلا بين دمشق والقاهرة، رغبة في الحياة الخشنة الزاهدة، مكلفا نفسه مشاق العبادة من أجل الاهتداء إلى الطريق الموصل إلى الله عز وجل.(٨)

وعلى الرغم من هذه النزعة الصوفية التي لازمت الغزالي إلا أنه كان يسعى للحصول على السعادة الدنيوية، التي كان يرى أنه يمكن الحصول عليها عن طريق الحياة الفاضلة، وتطهير النفس من الرذائل، وحسن التعامل مع الناس،

فكان يرى أن سعادة الدنيا مرتبطة بالبعد عن الماديات، مع عدم نسيان جوانب النفع فيها، لذلك كان يدعو إلى تعليم العلوم التي يحتاجها الفرد في حياته، كالطب والحساب وبعض الصناعات.[٩] وفي أواخر أيامه عاد الغزالي إلى "طوس" حيث وافاه الأجل هناك عام (٥٠٥هـ)، وترك وراءه مؤلفات كثيرة في مجالات الفلسفة والفكر والمنطق والفقه والتربية، حتى إنها لتزيد عن السبعين مؤلفاً من أشهرها (إحياء علوم الدين).[١٠]

آراء الغزالي التربوية:

للغزالي العديد من الآراء التربوية التي تكون أساسا لمجال التطبيق التربوي بعد ذلك، والتي ما تزال موضع إعجاب وتقدير كثير من التربويين حتى يومنا هذا، وفيما يلي بعض من تلك الآراء:

١- الهدف من التربية:

يرى الغزالي أن هدف التربية الأسمى هو التقرب إلى الله عز وجل، وأن غاية الأخلاق هي حب الله وحب لقائه، كما يرى أن العلم فضيلة، والحياة الفاضلة السعيدة هي معرفة الله ومحبته وعبادته.

٢- مبادئ التعلم:

يرى الغزالي أن الطفل لديه القابلية والاستعداد للتعلم، وهذا التعلم يحتاج إلى مراعاة مجموعة من المبادئ التي تؤثر فيه وتعززه، ومن أهم هذه المبادئ مايلي:[١٢]

أ- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين.

ب- مراعاة قدرات المتعلم واستعداداته.

جـ- مراعاة التدرج في التعليم.

د- الأخذ بمبدأ التشويق.

هـ- الاعتدال في تطبيق الثواب والعقاب.

و- مراعاة مبدأ الممارسة والتكرار.

ز- تعزيز الاتجاه الأخلاقي للمتعلم.

٣. البدء بالتعليم في الصغر.

٤. الاهتمام بالفطرة الإنسانية:

يرى الغزالي أن الطبيعة الإنسانية لا ترتبط بالشر أو أنها فاسدة، وإنما تتضمن معايير فطرية، أما الشهوات والغرائز فإن لها وظائفها، وعلى التربية توجيهها لتقتصر على هذه الوظائف.

٤. الاعتدال في تطبيق العقاب:

يرى الغزالي أنه لا يجب استخدام القسوة - بأي حال من الأحوال - في المعاملة مع المتعلم، وعدم اللجوء إلى العقاب، خاصة البدني، لأن المتعلم يمكنه تحمل الضرب في سبيل إشباع ميوله، فيجب على المربي أو الوالدين تقديم الرحمة على الشدة، مع الحفاظ على هيبتهم أمام أبنائهم.

٥. تقدير مهنة التعليم:

يرى الغزالي أن مهنة التعليم من أشرف المهن، واستشهد على ذلك بالنقل والعقل، فمن أدلته النقلية قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثت معلما)، ومن الأدلة العقلية أن شرف الصناعة يُعرف بشرف محلها، كفضل الصياغة على الدباغة، فمحل الأولى الذهب، ومحل الثانية جلد الميتة.

ثانيًا: تربية الأطفال:

يرى الغزالي أن تربية الأطفال تبدأ من الحضانة، حيث ينبغي ألا تستعمل في حضانة الطفل وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة. ويمكن تلخيص أهم آرائه في تربية الأطفال في النقاط التالية:

أ) تهذيب الطفل عن طريق تعليمه الدين وقيامه بالعبادات اللازمة، ومعرفته علوم الشرع.

ب) تعويده خشونة المطعم والمشرب والملبس لينشأ قويا يتحمل المشاق.

ج) مراعاة التوسط والاعتدال في تهذيب أخلاق الأطفال.

د) إبعاده عن قرناء السوء، وعن التدليل، وعدم التساهل في التعامل الحديث.

هـ) شغل وقت فراغه بتعويده قراءة القرآن الكريم حتى يبتعد عن العبث والمجون.

و) الاغتراب في طلب العلم بعيدا عن الوطن والأهل، حتى لا يشغله عن طلبه شاغل.

ز) ممارسة الأطفال اللعب لما له من وظائف عديدة، تتمثل في ثلاث وظائف رئيسة:

- يساعد في ترويض جسم الطفل وتنمية عضلاته.
- يدخل السرور والبهجة إلى قلب الطفل.
- يريح الطفل من تعب الدروس.

أهم التطبيقات التربوية لفكر الغزالي:

للفكر التربوي عند الغزالي أثر كبير في الميدان التربوي، حيث يمكن لهذا الميدان أن يضعه موضع التطبيق، وذلك لأنه فكر قائم على الكتاب والسنة. ومن أهم التطبيقات التربوية لفكر الغزالي ما يلي:[١٤]

١- واجبات المعلم نحو التلميذ:

- أن يستخدم المعلم الرحمة والشفقة مع التلميذ.
- أن يدرس نفسية المتعلم فإن ذلك يمكنه من معاملته بطريقة مناسبة.
- أن يستخدم الحكمة في تقويم اعوجاج المتعلم.
- أن يقدم للمتعلم المعلومات التي تناسب مستوى فهمه.
- ألا يعود المتعلم على التدليل، بل يعوده على الجد في العمل.
- أن يراعي التوسط والاعتدال في المعاملة.
- أن يعوده على احترام الكبار وتقديرهم.

٢- واجبات التلميذ:

- احترام المعلم حتى في حالة عدم وجوده.
- عدم التكبر على المعلم وعدم التآمر عليه.
- أن يتجنب مجالس السوء التي قد يذكر فيها المعلم بما لا يليق به.

• أن يطهر نفسه من الرذائل، فالعلم عبادة، لذلك لا يصح الأخذ به بدون طهارة النفس والقلب.

٢. تصنيف محتوى المنهج:

يقسم الغزالي المنهج إلى مجموعات كما يلي:

أولا: تقسيم العلوم حسب الاشتغال بها:

يقسم الغزالي العلوم وفقا لهذا المجال إلى:

١. علوم محمود قليلها و كثيرها، مثل: العلوم الدينية أو الشرعية.

٢. علوم يحمد منها قدر معين، ويذم التعمق فيها، مثل: الفلسفة.

٣. علوم مذموم قليلها وكثيرها، مثل: علوم السحر والتنجيم.

ثانيا: تقسيم العلوم في ضوء كونها فرض عين أم فرض كفاية:

أ. علوم فرض عين: وهي التي تجب على كل مسلم ومسلمة، وهي اعتقاد وفعل وترك، ومعناه: اعتقاد بالله، وفعل بأمره وترك لما نهى عنه.

ب ـ علوم فرض كفاية: وهي العلوم التي يلم بها نفر من المسلمين، أو يكفي تحصيلها مجموعة من المسلمين، كالطب، والحساب، والصناعات، إذ لا غنى عنها في الحياة الدنيا.

ثالثا: تقسيم العلوم حسب أهميتها وفائدتها:

١) علوم تفيد في الحياة الآخرة، وتقرب إلى الله، وهي العلوم الدينية (القرآن الكريم والحديث..).

٢) علوم تفيد في دراسة العلوم الدينية، مثل (اللغة العربية...).

٣) علوم تفيد في الحياة الدنيوية (كالحساب والطب والطبيعة).

٤) علوم تفيد لكونها تحقق الاستمتاع والتثقيف، (كالتاريخ والسياسة...).

رابعا: تقسيم العلوم حسب كونها أصولا أم فروعا:

(١) علوم هي أصول: (كالقرآن الكريم والحديث).

(٢) علوم هي فروع: (كالفقه) فهو يتفرع عن القرآن الكريم والحديث.

(٣) علوم هي مقدمات: أي لازمة لدراسة العلوم الأصول، (كالنحو وعلم اللغة).

(٤) علوم هي متممات: تكتمل بها الأصول، وهي (القراءات والتفسير).

خامسا: تقسيم العلوم حسب مصدرها:

١- علوم نقلية: أي منقولة عن السلف، كالعلوم الدينية.

٢- علوم عقلية: وهي من نتاج عقل الإنسان.

ثانيا: ابن تيمية

مولده ونشأته: هو تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، ولد في مدينة حران شمال سوريا سنة (٦٦١هـ)، وتوفي في سجن القلعة بدمشق سنة (٧٢٨هـ) وعمره ثمانية وستين عاما.[١٥] عرفت عائلته بالعلم، لذلك درس "ابن تيمية" علوم القرآن، والحديث، واللغة، وعرف دقائق المذهب الحنبلي بدمشق، كذلك درس المذاهب والفرق الأخرى وتفاعل مع الاتجاهات الفكرية التي كانت سائدة بدمشق والعالم الإسلامي،[١٦] فكان عالما بحق ليس في العلوم الدينية فحسب، بل في المجالات الأخرى كالفلسفة والمنطق ، والأدب والتاريخ والرياضيات، والفلك، وغيرها، وقد ارتقى إلى مرتبة الاجتهاد والاتصال المباشر بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.[١٧]

اشتغل "ابن تيمية" بالتدريس وهو في الثانية والعشرين من عمره، فاشتهر بأسلوبه في التدريس، وفكره، ومعرفته كبار العلماء، لذلك انتقل إلى التدريس بالجامع الأموي، فذاع صيته واشتهر، ثم انتقل إلى القاهرة وعمل بالتدريس فيها قرابة الأربع سنوات، ثم عاد مرة أخرى إلى التدريس بدمشق.[١٨] وقد تأثر "ابن تيمية" كثيرا بالبيئة السياسية والاجتماعية التي عاش فيها في دمشق، وتعرضت

حياته لسلسلة من المحن كان آخرها سجنه في سجن القلعة بدمشق الذي مكث فيه حتى وفاته.[19]

اهتم "ابن تيمية" بأحوال الأمة الإسلامية التي أصيبت بالخطر المغولي عام ٦٥٦هـ - ١٢٥٨هـ ، وسقوط الخلافة العباسية، وكثرة الاضطرابات التي تعرضت لها الدول الإسلامية، وقد عالج العديد من الموضوعات التربوية التي تتصل بأصول التربية الاسلامية، مثل الحكمة من التربية، والمناهج التربوية، وطرائقها، وكان له من الأعمال ما يفوق (٣٥٠) مؤلفا في مختلف فروع العلم، من أشهرها:[20]

١) الفتاوى (٣٧ مجلدا) في التوحيد والتفسير والفقه والتصوف والسلوك

٢) درة تعارض العقل والنقل (٢١ مجلدا)

٣) مجموعة الرسائل الكبرى

٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح

٥) موافق صحيح المنقول لصريح المعقول

٦) السياسة الشرعية

٧) الحسبة في الإسلام

آراؤه التربوية:

عني "ابن تيمية" بالتربية في جوانب متعددة يمكن عرضها فيما يلي:

١ التربية والعقيدة:

يرى "ابن تيمية" يجب ألا يتقرب المسلم إلى الله بالموتى وزيارة قبور الصالحين، لأن في ذلك إخلال بعقيدته وتشويه لتربيته، كما يرى أن تربية الفرد تبلغ كمالها حين تتحقق منها العبادة الصحيحة؛ ولتحقيق العبادة الصحيحة يجب على الفرد تنظيم علاقته بخالقه، وبالآخرين الذين يعيش معهم في مجتمع واحد، وبالكون حيث الخضوع لتدبير الله وتصريفه، وكذلك الانسجام مع قوانينه التي تنظم حياة الكائنات فيه، وتعلم أسراره وتدريبه على اكتشاف هذه القوانين والتكيف معها، واستغلالها.

٢- أهداف التربية:

تتمثل أهداف التربية عند "ابن تيمية" في ثلاثة أمور، هي:

(أ) تربية المسلم عن طريق إعداد الإنسان المفكر الذي يحيا ويعمل بما جاء به القرآن الكريم وما فسرته السنة، أي أن يأتمر بأوامر الله وينتهي عن نواهيه.

(ب) تكوين الأمة الإسلامية ببنائها بناء متكاملاً، بحيث تتسم بالوسطية والخيرية، وأن يكون هذا البناء مبنيا على العلاقات الاجتماعية بين أبناء هذه الأمة.

(ج) ضرورة السعي في الدعوة للإسلام في العالم، أي تحقيق عالمية الإسلام، الذي يمثل الرسالة الحضارية التي تحملها الأمة إلى العالم أجمع.

٣- الطبيعة الإنسانية:

اهتم "ابن تيمية" بالنفس البشرية ويرى - استنادا إلى القرآن الكريم - أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام: النفس المطمئنة، والنفس اللوامة، والنفس الأمارة بالسوء.

أهم التطبيقات التربوية في ضوء فكر "ابن تيمية":[٢٢]

لم يقف "ابن تيمية" عند تقديم المفاهيم الخاصة بمعاني التربية ومقاصدها وأهدافها فحسب، بل تطرق إلى جوانب عملية كذلك، من هذه الجوانب:

١) تقسيم المنهج الدراسي: فالمنهج عند "ابن تيمية" ينقسم إلى أربعة أقسام، هي:

- ميدان العلوم الدينية: كعلوم العقيدة والعبادات والأخلاق.
- ميدان العلوم العقلية: كالرياضيات والطب وعلم الأحياء والفيزياء.
- ميدان العلوم العسكرية: وهي علوم إجبارية لارتباطها بالجهاد.
- ميدان علوم الصناعات والمهن: وبعضها إجباري وبعضها اختياري.

٢) طرق وأساليب التربية: يرى "ابن تيمية" أن طرق التربية تنقسم إلى طريقتين رئيسيتين، هما: الطريقة العلمية، وطريقة الإرادة. ويُرجع سبب هذا التقسيم إلى

أن القلب - وهو أداة التعلم - له قوتان: القوة العلمية (وهي قوة الفكر)، وقوة الإرادة (وهي قوة الرغبة والاختيار).

والطريقة العلمية تعتمد على صحة النظر في الأدلة والأسباب الموجبة للعلم، أما طريقة الإرادة فهي شحذ قوة الرغبة التي تحرك الإنسان وتوجه سلوكه نحو مقصد معين، وأوضح "ابن تيمية" ضرورة مراعاة معايير معينة في اتباع طرائق التربية، ومنها:

- مراعاة استعدادات المتعلم وطاقاته.
- التدرج في التعلم.
- تكامل الجوانب النظرية والعملية.

٣) آداب العالم والمتعلم: يرى "ابن تيمية" ضرورة أن تتصل بالطرق والأساليب التربوية مجموعة من الآداب المتعلقة بالعالم والمتعلم، أما العالم المعلم فعليه مراعاة الدور الذي يقوم به، وهو خلافة الرسول صلى الله عليه وسلم في تبليغ الرسالة وتربية الخلق، وهذا لا يتأتى إلا إذا كان هو قدوة لطلابه في المقام الأول، أما المتعلم فقد أوجب عليه "ابن تيمية" حسن المقصد والنية من التعليم، واحترام العلماء، وتحري المعرفة مهما كان مصدرها، والحذر من التعصب والانتماء المذهبي، وتقبل الآراء المخالفة لرأيه أو انتمائه الفكري.